# نبذة عن مجتمع إدَكْصَهَكْ (إدواسحاق)

إعداد:

البشير محمد إبراهيم

# المحتويات:


- تمهيد

*الفقرة الأولى: هذا المجتمع:

- أصلهم
- وصولهم إلى هذه المنطقة
- سبب التسمية
- قبائلهم
- لغتهم
- مواطنهم
- أشهر إماراتهم:

- نبذة يسيرة عن إماراتهم قبل الاستعمار

أولا: إمارة إِهَنَقَّتَنْ:

- التأسيس
- قصة تجدر الإشارة إليها
- آخر أمراء هذه الإمارة
- السيرة الذاتية لأيوب والحالة الاقتصادية والأمنية والسياسية والاجتماعية والثقافية لهذه الإمارة
- الحدود التقريبية لهذه الإمارة
- المعالم التاريخية لهذه الإمارة

ثانيا: إمارة إِدُوغِرِتَنْ:

- الحدود التقريبية لهذه الإمارة
- المعالم التاريخية لهذه الإمارة

ثالثا: إماراتهم غير هاتين:

1- إمارة تَبُهُو

2- إمارة أَبَكُتْكُونْ

3- إمارة إداشَّريفْ

4- إمارة تَرْبَناسا

5- إمارة كلْ آظارْ

6- إمارة إبْهانْ

- التنظيم السياسي لهذه الإمارات

*الفقرة الثانية: إدكصهك والعلم الشرعي والأدبي-اللغوي:

- أولا الشرعي:

- تمهيد
- مذهبهم العقدي
- مذهبهم الفقهي
- طريقة تعليمهم العلوم الشرعية
- بعض علمائهم في الفقه والنحو واللغة
- مؤلفاتهم
- رسائلهم الفقهية

- ثانيا: الأدبي -اللغوي:

- طريقة تعلمهم العلوم اللغوية والأدبية
- بعض علمائهم في النحو واللغة والفقه
- مؤلفاتهم ورسائلهم النحوية واللغوية
- الشعر عندهم –نماذج من شعرهم.

*المصادر والمراجع

***تمهيد:**

ينقسم الملثمون في الصحراء الكبرى وفي غيرها إلى مجتمعين:

1- مجتمع يتكلم باللغة الطارقية (تماشق) وهم الذين يطلق عليهم اسم الطوارق حديثا، قال الشيخ العتيق بن الشيخ سعد الدين السوقي[1]: «وأما المتقدمون وأهل الخارج من المتأخرين فيطلقون لفظة (الطوارق) على جميع البرابر الملثمين الساكنين بالصحراء الحاجزة بين بلاد السودان وبلاد البربر من مبدئها ساحل البحر المحيط بإفريقية إلى منتهاها ببلاد مصر، ثم أطلقها المتأخرون على كل من يتكلم باللغة التي يقال لها تماشق وتماجق وتماهق وتمازغت[2]».

2- مجتمع يتكلم بلغة (تدكصهك-الإسحاقية) وهم الذين يطلق عليهم اسم الإسحاقيين كما سنبين في هذا البحث—إن شاء الله.

وكل واحد من هذين المجتمعين يختلف عن الآخر اختلافا بينا في اللغة وفي اللون وبعض العادات، قال الشيخ محمد بن أبي بكر السوقي أو الدسوقي: «أنهم —الإسحاقيين- لا يشابهون الطوارق لا في اللون ولا في الهيكل، ولهم لغتهم الدسحاقية[3]». ولكن غيرهم لا يميز بينهم؛ لأن جل الكاتبين عن المنطقة لم يكونوا من أبنائها، ولا تصل إليهم المعلومات الصحيحة، والهدف عند بعضهم في الكتابة عن المنطقة خدمة أهداف معينة، وأما الكاتب الأكبر عن المنطقة الشيخ العتيق فقد فرّق بينهم من حيث اللغة، وفاته التفريق من حيث اللون والعادات. ونستطيع أن نقول بأن من يطلق الطوارق على المجتمعين معا كمن يطلق (البمبرا أو فولبي أو سونغاي أو الهوسا) على جميع السوادين، ولكن لا نُحمّل هذا الوزر غيرنا

---

[1] الشيخ العتيق من العلماء الأفذاذ في منطقة الصحراء الكبرى في أيامه، وقد تجول كثيرا وجمع معلومات كثيرة عن المنطقة جمعها في كتابه (الجوهر)، وتوفي في السنة الماضية 2017م.

[2] الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين/ للشيخ العتيق بن الشيخ سعد الدين السوقي ت 2017، مخطوط بمكتبتي، ص 33.

[3] مدينة أغديس وأهلها الطوارق عرب الصحراء، وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم مع تاريخ أغديس وأسدى ومدن الصحراء القديمة كجاد وغيرها من المدن/ للكاتب الشيخ والإمام لمسجد الفاتح في مدينة أغديس: محمد بن أبي بكر السوقي أو الدسوقي اللقب الصحيح، مخطوط بمكتبتي، ص 49.

وإن كان قد شاركنا فيه من قريب أو من بعيد، فنحن السبب الأول في هذه الجهالة حيث لم نكتب عن أنفسنا.

ومجتمع الطوارق ينقسم إلى قسمين:

1-قسم ينتسبون إلى البربر.

2-قسم ينتسبون إلى العرب.

ومجتمع إدكصهك ينقسم هو الآخر إلى قسمين:

1-قسم ينتسبون إلى الطوارق ثم من الطوارق إلى العرب أو إلى البربر، وهم قلة قليلة.

2-قسم ينتسبون في الأصل إلى العرب. وهذا القسم هو الأكبر والأكثر، ويشترك مع القسم الأول من جميع النواحي إلا الأصل.

ولكن كلا الفريقين لا يريد أن يُنسب إلى العرب ولا إلى البربر، بل هم يريدون أن يكونوا كما هم منذ أكثر من سبعمائة سنة (إدكصهك).

وأما الفروق بينهم وبين الطوارق فأهمها:

1- اللغة.

2- اللون، فإدكصهك بيض الألوان، وأما الطوارق فسمر الألوان.

3- العادات والتقاليد، رغم أنهما يشتركان في بعضها نظرا للاشتراك في البيئة.

2018/01/06

## الفقرة الأولى: (هذا المجتمع):

### *أصلهم:

قال الشيخ محمد سعيد بن محمد الإسحاقي[1]: «ينسبون أنفسهم إلى الشريف محمد المختار المعروف ب (آيت) ... وعلى هذا النسب الرفيع مضى أسلافهم ورووه لخلفهم صاغرا عن كابر إلى يومنا هذا .. وقلما لاقيت منهم شخصا إلا رفع نسبه لأحد الرجلين المعروفين (شريف تندر وآنف ابني ضاف بن الفقيه بن مرزوق، إلا ما كان من حي الشرفاء ويطلق عليهم اسم الشرفاء -إداشّريف- من بين إدكصهك، وممن كتب في ذلك الشيخ الأجل الهمام الأمثل الإسحاقي (حمّهود -عاش في أواخر المائة التاسعة للهجرة[2]- ابن ضاف السابق ذكره آنفا، وقد صحح بخطه رفع نسبه إلى آيت، وفي كتاب الأنساب أيضا للشيخ الولي الفاضل الإسحاقي عبد السلام ما يصحح ذلك[3]».

وتفرعوا من عند الفقيه ابن مرزوق بن آيت حفيد مولى عيسى بن إدريس بن إدريس الحسني، وسمي محمد المختار بآيت لاستقرار جده عيسى ابن إدريس إلى جبال آيت عتاب وقبره هنالك، فقام حفيده محمد المختار هنالك حتى أقبر فيها[4]. وكان سبب استقرار الجد عيسى إلى جبال آيت بعض الحروب التي قامت في مدينة دادي من تادلاء عام 433هـ، ثم تناسلت ذرية محمد المختار من تلمسان وتادلاء، وأتى حفيده الفقيه ابن مرزوق في القرن

---

[1] محمد سعيد بن محمد الإسحاقي من مواليد 1956م تقريبا، أحد الرموز العلمية في المنطقة، له كتابات رائعة في التاريخ والفقه المالكي ومصطلح الحديث، صاحب كتاب (زبدة الوفاق)، شاعر كاتب له عدة قصائد في مجالات عديدة، شارك مع أخيه عبد الله بن محمد في تأسيس مدرسة الوفاق بإضيلمن سنة 2006م، وهو مفتي (إضِيلَمَنْ – إحدى أعمال أنْسَكُ) حاليا. انظر: بحث سيدي الآتي ص 14.

[2] انظر: الروضة الإسحاقية/ للشيخ محمد طه بن الشيخ سعد الدين الإسحاقي، مخطوط بمكتبتي، ص 9.

[3] زبدة الوفاق في تعريف إدو اسحاق/ محمد سعيد بن محمد الإسحاقي، مخطوط بمكتبتي، ص 7-8، بتصرف يسير.

[4] الروضة، مصدر سابق، ص 3-6.

الثامن الهجري أرض غوغو (غاو حاليا –إحدى أقاليم مالي) وتينْبُكْتو (إحدى أقاليم مالي) فتناسل الإسحاقيون هناك منه[1].

قال الشيخ الكبير[2]: «من صحّح لنا نسبه إلى آيت أثبتنا له الشرافة[3]».

قال الشيخ العتيق: «فيهم –أي إدكصهك– طوائف ينسبون إلى أجداد شرفاء، وجلهم من ينتسب إلى محمد المختار المعروف بآيت[4]».

قال الدكتور عمر كحالة: «إسحاق: بطن من بني أبي بكر الصديق، ينتسبون إلى بني طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، كانت مساكنهم ببلاد الاشمونين من صعيد مصر»، وقال: «الإسحاقيون: بطن من جعفر الطيار، وهم: بنو إسحاق العرضي ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، من العدنانية»، وقال: «الإسحاقيون: بطن من العلويين، ينتسبون إلى أبي محمد إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق، كان منهم نقباء حلب والشام وجماعة ببعلبك»[5].

وقال القلقشندي: «بنو إسحاق – بطن من البكريين بني أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بني تيم بن مرة من قريش من العدنانية. قال الحمداني: هم من أقارب بني طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ومساكن بني إسحاق هؤلاء ببلاد الاشمونيين من صعيد الديار المصرية فيما ذكره الحمداني[6]».

وقال المقريزي: «فأما بنو طلحة فهم ينسبون إلى طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه، وهم ثلاث فرق: بنو إسحاق ويقال إن إسحاق ليس

---

[1] الروضة، مصدر سابق، ص 3، و وضعية شمال مالي (جذور الماضي–دوافع الحاضر–آمال المستقبل) بحث تخرج 2013–2014 للطالب سيدمحمد المختار الإسحاقي، ص 14–15.

[2] لم أقف على ترجمته، وإنما أورده صاحب المخطوطة هكذا.

[3] الزبدة، مصدر سابق، ص 7–8، و الروضة، مصدر سابق، ص 4.

[4] الجوهر، مصدر سابق، ص 75.

[5] معجم قبائل العرب/ الدكتور عمر كحالة، ج 1، ص 20.

[6] نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/ القلقشندي، ج 1، ص 14.

بجد ولكنه موضع تحالفوا عنده سموه إسحاق كناية، وبنو قصة وهم بطون كثيرة مشتتون في البلاد، وبنو محمد من ولد محمد بن أبي بكر رضى الله تعالى عنه ومنازل بني طلحة هؤلاء بالبرجين وطحا[1]».

قلت: لا اعتبار لقول واحد مع التواتر الذي حكاه الشيخ محمد سعيد المذكور آنفا.

وقد تقدم أن جل إدكصهك ينتسبون إلى ابني الفقيه ابن مرزوق، وأما القلة الباقية التي لا تنتسب إلى ذينك الرجلين فأشهرها قبيلتان:

1- كلْ بَرْيا: وهم ينسبون إلى إبراهيم بن سعيد بن المهدي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عالي بن إسحاق بن عبد العالي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يحيى بن إدريس الثالث بن عمر المخاضي بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر نزيل المغرب بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب[2].

2- إداشّريف: وهم ينسبون إلى عروة بن مولاي الحسن بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن طرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن مولاي إسماعيل بن قاسم بن محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب[3].

فأول جد لهذه القبيلة جاء هذه البلاد عروة، وهو من أهل المائة الثامنة وجاء إلى الجد الفقيه بن مرزوق بن آيت، وقد ادعى الشرافة فخطب منه ابنته فقال له الفقيه: إنها شريفة لا ينكحها إلا شريف، فقال له عروة: أنا شريف، فأرسل الفقيه رسلا إلى المغرب ليتحققوا من شرافته، فلما تحققت له شرافته زوجه ابنته. وقيل إنه لما توقف في إنكاحه ابنته

---

[1] البيان والإعراب ما بأرض مصر من الأعراب، المقريزي، ص9.

[2] الروضة، مصدر سابق، ص 31.

[3] الروضة، مصدر سابق، ص 32-33.

أتتهم عاصفة مكثت أياما حتى لا يرى أحد ما بين يديه، فلما رأى الفقيه ذلك قال للناس: هذه الريح إنما غشّتنا لأجل إبايتي إنكاح هذا الفتى، فأنكحَه فانكشفت العاصفة[1].

وأما ما عدا الآيتين والشرفاء والدغوغيين –كل بريا– من إدكصهك فهم من البربر الخلص[2] وأهمهم (كلْ إِسْمُتَنْ)، وقد قال لي حميدي بأن أربعة قبائل ليست من إدكصهك أصالة ولكنها تدكصهكت، وهي: كل بريا–إداشريف–كلْ تِشِيضَنْ–إتَغَرْنَنَنْ، وهذه الأخيرة أصلها من إمغاد[3].

ومما يدل على شرافتهم شهادة العرب لهم بها كما سنرى في هذه المخطوطة: «حدثني الثقة عبد الله بن عبد السلام عن محمود بن شَتْشَتْ، أنه ومحمد أحمد بن عبد السلام وفاضل بن الحسن ومحمد بن موسى السوقي عند محمد زين الموريتاني التجكاني، إذ جرى بينهم ذكر الشرافة فأنكر الموريتاني ما ادعاه بعض السوقيين من شرافتهم، وقال إنها لم تكن إذ ليست فيهم علامة من علاماتها، فحاول السوقي معارضته وتثبيت ما ادعوه من شرافتهم، فلم يقدر على ذلك، فقال له الموريتاني: الذي كان عندي ما صمّم عليه الإسحاقيون من شرافتهم؛ إذ فيهم رأيت علامات الشرافة لا أنتم، ومنها: أشعار رنّينة وإن لم يكن واحد متفننا في العلوم، فقال له السوقي: فنحن شعراء، فقال له الموريتاني: لا لا إذ لم يكن أحدكم شاعرا إلا بعد التفنن في العلوم، لا كذلك الإسحاقيون. ومنها: سيوف طنّينة كما كانت عليه الإسحاقيون لا يضعون السلاح وأنتم تضعونها. ومنها: حقارة الملوك. ومنها: اتفاق الناس على بغضهم والإذاية لهم مع أنهم هم الذين يتعيّش الناس فيهم. ومنها أن جزاء معروفهم إلى الإنسان

---

[1] الروضة، مصدر سابق، ص 31–32.

[2] الشيخ محمد فاضل بن الحسن الإسحاقي (حياته وآثاره العلمية) بحث تخرج 2014–2015 للطالب: عبد الله يزيد فاضل الإسحاقي، ص 8.

[3] حميدي أشختمن أغ أحمد أحمد الملقب ب(أَكْرَيْهَا) من تنسلمت، ولد سنة 1951، ودرس القرآن عن تعبداللاهت أغ إزشّي (محمد)، ثم درس المتون الفقهية على حدموسى أغ سيدموحمد وغيره، وأخذ علم الأنساب عن محمد أغ أحمدغمن من إكرففنن، مقابلة معه في نيامي 13:00 إلى 14:50 بتاريخ 28–10–2017.

الإساءة إليهم. ومنها: السماحة. ومنها: الغنى. ومنها: جمع المال ولا يبالون به. ومنها: جمع الدين والدنيا. ومنها أن من لم يكن شريفا لم يحبهم[1]».

[1] مخطوطة مكونة من صفحة واحدة في مكتبتي، بدون ذكر الكاتب، بتلخيص.

## *وصولهم إلى هذه المنطقة (السودان الغربي):

قال الشيخ العتيق: «وأما وصول أسلافهم إلى الوطن الذي يسكنونه في الوقت الحاضر وهو أعمال أَنْسَكُ وأعمال مَنَكًّا، فلا يقد أحد على ذكر أولويته لأن استيطانهم لتلك الأوطان قديم سابق على أيام كَرِدَنَّ التي ضاع ما قبلها من تواريخ البلد[1]».

وقال الشيخ محمد سعيد: حدثني الفاروق بن همت أن الإسحاقيين سكنوا قديما مرّوك فخرج عنهم أصل الذين هم بأرض غاو الآن في القرن العاشر الهجري[2]».

ونقل سيدمحمد المختار في بحثه عن الشيخ محمد أغ الرحمت[3] أنهم وصلوا إلى المنطقة في القرن الثامن الهجري[4].

وأما الشيخ طه الإسحاقي فرجّح وصولهم إلى هذه المنطقة في القرن الثامن الهجري فقال: ... الفقيه ابن مرزوق وهو من أهل المائة الثامنة، وهو أول جد لنا قدوما إلى بلاد نقْ وقبره بتِغيرسَنْ كما روينا عن جلة من الكبار، ولم نزل منذ مجيئه إلى بلاد نقْ في ذلك إلى الآن، فلنا فيه سبعمائة وستة عشر عاما في هذه المائة الخامسة بعد الألف[5].

ويؤيد هذا الرأي ما قاله لي مِديتْ[6] بأن أحد كبار مؤرخي النيجر في هذا العصر قال في كتاب له باللغة الفرنسية: أولى قبائل البيض التي وصلت إلى هذه المنطقة إدكصهك وإقْدَلَنْ[7].

---

[1] الجوهر، مصدر سابق، ص 63.

[2] الزبدة، مصدر سابق، ص 1-2.

[3] محمد أغ الرحمتْ هو زعيم قبيلة إوَنْغَرانْ (قبيلة من قبائل الإسحاقيين).

[4] وضعية شمال مالي، مرجع سابق، ص 17.

[5] الروضة، مصدر سابق، ص 3.

[6] أعرفه ولكن لم أتمكن من الترجمة له حاليا.

[7] مقابلة معه في الساعة التاسعة صباحا يوم الجمعة 02-06-2017.

***سبب التسمية:**

يسمى الإسحاقيون أنفسهم إدَكْصَهَكْ أو إضكصهك على اختلاف لهجاتهم، ويسميهم الطوارق دُوسَهاكْ أو ضوسهاك، ويسميهم العرب دُواسْحاقْ أو إدواسْحاقْ، ويسميهم السونغاي دَوْسَهَانِ، ويسميهم البعض إسحاقيين، وكل هذه الأسماء لمسمى واحد. وسبب تسميتهم بإسحاقيين اختلف فيه المؤرخون على النحو التالي:

1- ذهب بعضهم إلى أنه نسبة إلى أحد أعمام آيت بالقرب وهو إسحاق ابن عبد العالي جد كل بريا، قال الشيخ طه: «وإسحاق هذا هو الذي تنسب إليه من جهة أنه وإن لم يكن من آباء الجد آيت فهو ابن عمه عبد العالي أخي جدنا بطّال، فاستمر التناكح والتناسل بين الذريتين إلى أن صدق للجميع الانتساب إليه لكونه مشهورا إلى الآن، ولا يمنع شهرته من شهرة الأقطاب من ذريته كآيت وإبراهيم الدغوغي[1]».

ورجح هذا الرأي محمد سعيد فقال: «وليس فيهم من يحقق شيئا عن أخبار إسحاق الذي ينسبون إليه ولا تعيينه من الأساحقة الذين ينسبون إلى آل البيت، وغالب ظنهم أنهم من إسحاق الذي ينتمي إليه إخوانهم الدغوغيون -كل بريا- لأنه من أبناء أعمام آيت بالقرب، وتسمية العم بالأب شائعة سائغة في كلام العرب قال الله تعالى: ﴿إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴿١٣٣﴾﴾[2]»[3].

---

[1] الروضة، مصدر سابق، ص 7.

[2] البقرة: 133.

[3] الزبدة، مصدر سابق، ص 1.

2- ومنهم من ذهب إلى أن سبب تسميتهم بإسحاقيين غلبة واحد من جدودهم عليهم اسمه إسحاق، ويؤيد هذا الرأي بعض كبار علمائهم مثل الشيخ سَيْدَحَه[1]. وهذا الرأي والذي سبقه متقاربان.

3- والرأي الراجح في هذا هو ما رجحه العالم الكبير المعاصر إدريس بن القاسم التلاتيْتِي[2]، وهو أن «أصل اللفظ المنسوب إليه (إضكصهك) وليس فيه ما يدل على إسحاق هذا ولم يشتمل على حرف من حروفه إلا الهمزة، فتصرّف فيه أهل اللهجات على ما يلائم لهجاتهم فقال الطوارق (دوسهاك)، وقال العرب (دواسحاق)، ثم تصرف الكتاب بنسبة إضكصهك إلى هذا اللفظ المعرب والمصطبغ بصبغة التعريب فقالوا إسحاقي بحذف الضاد والواو وإنشاء الهمزة قبل الصاد، فكتبوا إسحاقي نسبة إلى دواسحاق، فنشأ من هذه النسبة لفظ إسحاق صدفة الذي ينسب إليه الإسحاقيون، ولا يدرى زمن نشأة ذلك. وعلى هذا فإسحاق هذا ليس جدا لإضكصهك إنما هو نسبة

---

[1] الشيخ سيدحه بن سيد محمد من مواليد منطقة تلاتيتْ سنة 1957م تقريبا، أخذ علم اللغة العربية عن الشيخ البكّايْ بن الوافي، وعلم أصول الفقه عن فاضل ابن الحسن، كما أخذ علم التفسير عن الشيخ المحمود بن حماد السوقي، كما أخذ عن علماء آخرين من أمثال: أجَّمْجَمْ بن حَيْنَحا الإسحاقي وأمّحا أغ أولَغنْ السوقي، بدأ مسيرته السياسية سنة 2008م عندما ترشح لرئاسة بلدية تلاتيت التابعة لإقليم غاو في الانتخابات التي تم إجراءها في تلك الفترة، وقد واكب الأحداث الأزوادية الأخيرة منذ اندلاعها، وشارك فيجميع مؤتمراتها المهمة، وهو قاضي قضاة مدينة تلاتيت وضواحيها في الوقت الحالي. انظر: وضعية شمال مالي، مرجع سابق، ص 15.

[2] الشيخ إدريس ابن القاسم من مواليد منطقة تلاتيت سنة 1955م تقريبا، أخذ علم اللغة العربية والفقه المالكي عن شيخه فاضل ابن الحسن، وكذلك عن الشيخ البكاي بن الوافي، وعن صديقه ورفيق دربه سعد الدين بن البكاي، له مؤلفات عديدة، ورسائل كثيرة مع زملائه في النوازل، وله قصائد كثيرة في مجلات عديدة، شارك مع شيخه فاضل وزملائه في تأسيس مدرسة زينة السلام منتصف العقد الأخير من القرن الماضي، شارك في مؤتمرات إقليمية عديدة منها: مؤتمر تنبكتو 2006م، وساهم في فض نزاعات كثيرة بين المواطنين، وهو من قضات تلاتيت في الوقت الحالي. انظر بحث سيدي ص 16.

إلى أصل اسمهم (إضكصهك)، ولو كان جدا لهم لعرفه أهل العلم منهم ومن غيرهم[1]».

[1] الشيخ محمد فاضل، مرجع سابق، ص 10.

***قبائلهم:**

وقبل الدخول في صميم هذا الموضوع ينبغي أن نذكر مفهوم القبيلة عند إدكصهك، ومفهومها عندهم هو نفس مفهومها عند البلاد المغربية وأهل الصحراء، قال أحمد محمد بن محمد الحاج الحسني: «...حيث ظلت عبر التاريخ بمثابة إطار ترابي سياسي لحياة اجتماعية، ومن ثم فهو: الإطار الذي يتحدد فيه النظام القانوني الاجتماعي وكذا مختلف العلاقات، فتضم القبيلة بالمغرب مجموعة من الفخذات، ونادرا ما يرمز اسمها إلى جد أعلى يعتقد أفراد القبيلة بانتسابهم إليه، وهو أمر بديهي طالما أن القبائل في مختلف الجهات المغربية قد عرفت اختلاطا كبيرا في أصولها... أما في الرقعة الصحراوية فهي أيضا تشرّبت نفس العرف، فالذي يطلق عليه أهل البلد -الصحراء -شمال مالي- اسم القبيلة: جماعة متلازمة في الجوار والمناكحة والمحالفة واتحاد الوطن، سواء كانوا من أب واحد أو أم واحدة أو لا، والغالب من قبائلهم أن تضاف إلى الوطن الذي يجمعهم[1]».

وأما عدد قبائلهم فلا أقدر على ذكرها كلها، ولكن أذكر بعضا كلا منها تحتوى على بطون وأفخاذ متعددة: إِهَنَقَّتَنْ-تَصْكُمْكُونْ-إِكَرْفَقَّنَنْ-إِبَضَيْضِينْ-تَشْمِدِّكُونْ-إِداشَّرِيفْ-كلْ تِشِيضَنْ-إِتَغَرْنَنَنْ-كلْ بَرْيَا-كلْ تَبَاغَرْتْ-كُنْدِكُونْ-إِوَنْغَرَانْ-أَغُوكُونْ-إِدَوْرَغَنْ-كَرْسَسُّوتَانْ-تَنَسْلَمَتْ-إِبَجَّنْ-تَرْبَنَاسَا-تَرْغَدَادَا-تُرْغُبَّشْ-إِكَرَيْرِينْ-كلْ أَغْسَبَّيْ-إِبَلَنْغَتَنْ-كلْ آظَارْ-إِسُكُفِتَنْ-أَغْلِتَغْمُكُونْ-تَبُهُو-إِبْهَانْ-أَطَرَمْكُونْ-كَلَاغَلَا-كلْ تَسَوَاغْ.

وهذا الترتيب لم أعتمد فيه على الكثرة ولا على المكانة الاجتماعية، فهي عشوائية.

---

[1] الإمتاع والإبهاج في التعريف بالعلامة المحدث محمد الحاج/ ابنه وتلميذه أحمد محمد بن محمد الحاج الحسني، مخطوط بمكتبتي، ص41، و الجوهر، مصدر سابق، ص 63.

***لغتهم:**

قال الشيخ طه: «ولغتهم تسمى إسحاقية كما أن لغة العربية تسمى عربية، ومن المتعارف أن القبائل العظام تنتسب إليها لغاتها كالعربية والإسحاقية[1]».

هذا ويسميها الإسحاقيون تَدَكْصَهَكْ أو تضكصهك على اختلاف اللهجات، وهذه اللغة فيها كلمات بربرية وسودانية وعربية، ولا غرابة في أن تتأثر باللغات المجاورة لها، فقد كان أهلها تابعين لأمبراطور مالي ثم أمبراطور سونغاي في عهدهما. وهناك أحياء من المغرب يشابهونهم في بعض الكلمات، ويقال للسان تلك الكلمات تَاشْليحِتْ، كما أن هذه اللغة متقاربة مع (تغْدلتْ)[2].

وفي هذه اللغة كل الحروف العربية إلا حرف الثاء والذال فإنهما لا تطاوعان لغير المتعلمين منهم، وعدد حروفها خمسة وثلاثون حرفا.

---

[11] الروضة، مصدر سابق، ص 7.

[2] الزبدة، مصدر سابق، ص 1، و الجوهر، مصدر سابق، ص 74، و الشيخ فاضل بن الحسن، مرجع سابق، ص 13.

***مواطنهم:**

قال الشيخ محمد سعيد الإسحاقي: «وكثيرا ما تناقلت الرواة سلفا عن سلف وسارت الركبان من كنف إلى كنف أن أصلهم من تفيلْتْ وغيرها من بلاد المغرب... وخروجهم منها صادف فترة من فترات الدين[1] فيما بين مرّوك وصحراء النهر النيجري، فما نزلوا أرضا إلا ونظرهم أهلها بعين السخط ورماهم عن قوس واحدة بالحط، ترامت بهم البلدان أرضا فأرضا قبيلة فقبيلة حتى نزلوا بأرض إِزَرْمَانْ، فلما ألقوا بها عصا التسيار ووضع عليها الاختيار تلقّوهم بالتعظيم والاحترام والتقدير والإكرام إلا أنهم لم يمكنهم مجاورتهم لأن إدواسحاق أصحاب رعاية الحيوانات وإزرمان من أصحاب الزراعات، فشاطروهم زاوية تخصهم يرعون فيها ما شاءوا ويتحكمون فيها بما أرادوا، وبينهم مواصلات كثيرة... وأقاموا هناك حتى جاءهم محمد والد كردنّ بعد المحاربة التي وقعت بينه وبين أخيه التفريش سلطان أغدز، وسأل إزرمن عن إدواسحاق الذين جاوروهم فقالوا له: إنهم جاءونا من تَمَسْنَا[2]، فقال لهم محمد أنا أعرّفكم بهم، أنا في أثرهم، هم قوم خرجوا في مرّوك في القرن العاشر الهجري وأنا خرجت في الثاني عشر الهجري، وهم من جيراننا في مراكش فلا بد أن تخلوا لي سبيلهم، فقال له إزرمان: إذا كان ذاك برضاهم فذاك، فوقع اختيار الإسحاقيين على متابعة إمازغن، ثم انتقل عنهم تسعة رجال إلى أرض دَنَّكْ[3] فجميع من كان في أرض دنّك اليوم من قبائل البربر من التسعة الرجال المهاجرين إليها إلا ما كان من إمازغن وآير، ويقال لهم في أرض دنّك قديما إبُلْكورِينْ، ولم يبق ذلك الاسم الآن إلا على قبيلة إبلكورين خاصة. ثم قال: وهذا هو أصل الرحم الذي زعمها إزرمن بينهم وبين إدواسحاق[4]».

---

[1] رأيت الباحث سيدي نقل هذه المعلومة فشرح الدين وقال: الدين من الدنو وهو الذل، انظر هامش بحثه ص 16.

[2] هذه الكلمة تدكصهكية، ومعناها: جهة الشمال.

[3] هذه الكلمة تدكصهكية، ومعناها: جهة الشرق، ولعله يقصد بها ضواحي أغَدِزْ –إحدى أقاليم النيجر الشرقية.

[4] الزبدة، مصدر سابق، ص 1-3.

وأما أعمالهم فما بين كيدال (إحدى أقاليم مالي الشمالية) إلى النيجر، وما بين غاوَ (إحدى أقاليم مالي الشمالية) إلى ضواحي آظر[1] [2]، ولعل كثرتهم الآن توجد فيما بين تِنّهمَّا (من أعمال أنْسَكُّ شرقا) إلى منكا (إحدى أقاليم مالي الشمالية الجنوبية) غربا، وما بين منكا إلى حدود النيجر شرقا، وما بين منكا إلى النيجر جنوبا، وما بين منكا إلى أَطَرِيرَا[3] شمالا، والمساحة التقريبية لهذه البلاد 400كيلو شرقا وغربا، و 250كيلو جنوبا وشمالا. ويوجد غير هذا المجتمع بقلة في هذه المساحة.

وتوجد بيوتات منهم في الجزائر وفي ليبيا وفي النيجر وجلهم في هذه الأخيرة تطرّقت[4] لغتهم، يقول سعيد القشاط في كتابه (الطوارق عرب الصحراء الكبرى): «قبيلة إد اسحاق جزء من قبيلة إدو اسحاق بموريتانيا، وهي عربية[5]»، ويقول في كتابه (أزواد أو صحراء تينيري): «قبيلة إدو اسحاق لهم فرع كبير في موريتانيا، ومنهم بنو إسحاق في الصومال، والأساحقة في ليبيا، وهي قبيلة عربية من عرب الطوارق، تشتغل بالعلم والتعليم، ومنهم علماء مشهورون في المنطقة[6]».

قلت: وأما وجودهم في موريتانيا والصومال فلم أسمع أحدا قال به غير هذا الدكتور.

---

[1] واد في الحدود الشمالية الشرقية لمالي مع النيجر.

[2] الزبدة، مصدر سابق، ص 1.

[3] مكان في شرق شمال منكا، ويبعد عن منكا بحوالي 200كيلو.

[4] بمعنى يتكلمون بالطارقية.

[5] الطوارق عرب الصحراء الكبرى/ د. محمد سعيد القشاط،، ط 2، مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ص 68.

[6] أزواد صحراء تينيري/ الدكتور محمد سعيد القشاط،،ط 1، مؤسسة ذي قار، ص 46.

***أشهر إماراتهم:**

**نبذة يسيرة عن إماراتهم قبل الاستعمار:**

وأما أشهر إماراتهم قبل مجيء فرنسا فقال الشيخ طه: «وبالجملة فمقتضى ظواهر الأخبار أن الجد الفقيه بن مرزوق هو المتولي أمر بلاده في أيامه في المائة الثامنة إذ هو الذي يكون بينه وبين الملوك مراسلات في الشؤون الشعبية في أيامه، وتهتدى إليه أبناء السيل الغرباء..[1]»، وقال: «وولاية الجد الفقيه بن مرزوق هي الأمر إلى زمن حفيده الثالث الجد القاضي حمّهود بن الصالح بن ضاف بن آنف بن الفقيه بن مرزوق في أواخر المائة التاسعة، وفي أيامه انقطع فيهم القضاء والفتوى بسبب خروج الفاجر سنّ علي السنغاني.. وهو الذي استأصل حرمة الدين في كل ما بلغته دعوته، فانكسر خاطر العلماء[2] بذلك، وبطل ما كان عندهم من الرسوم إلا قليلا، إلا أنه كلما أراد رسم من هذه الرسوم أن يندرس قام من يجدده إلى الآن، ولم يزل العلماء في الانكسار إلى تمام المائة التاسعة فانقرضت دولته، وعقدت الإمامة للإمام العادل الحاج محمد أسكيا، فأعان بعض علماء التكرور فانقرضت دولته عند كمال الألف فتغلب الرماة وانقرضت دولتهم.. فتغلب إولّمّدن، ولم يزل الإسحاقيون في هذا كله في الانكسار إلا أن ما بأيديهم من الملك البلادي لم ينقطع ولم يدخله خلل مع ما قاسوا من الشدائد والبلايا والمحن، وكلما وجدوا فسحة لإحيائه أحيوه إلى زمن الشيخ وَفَلِغَن حفيد الجد حمّهود الثاني إذ هو ابن إبراهيم اللقاني بن حسان بن حمّهود، وهو من أهل المائة الثالثة بإدراك من الثانية بعد الألف، وهو الذي أعانه القاضي سَلُهُ من ذرية هَدِشَ في الفتوى، فكان ذلك سببا لإحيائها فيهم إلى الآن[3]».

---

[1] الروضة، مصدر سابق، ص 8.

[2] يقصد بالعلماء إدكصهك.

[3] الروضة، مصدر سابق، ص 9-10.

فقول الشيخ طه يدل صريحا على أن الفقيه –أول جد لنا قدوما إلى المنطقة– وُلّيَ أمر ما يليه من الشعب، ثم لم يذكر من أي جهة ولّي، وأنا أرجح توليته من قبل أمبراطور مالي؛ لأن موطنه (نق[1]) قريب جدا من غاو التي سيطر عليها ذلك الإمبراطور في ذلك الوقت، ومهما يكن من أمر فإن الفقيه ولّي الفتوى وأمر المسلمين في بلده، وكوّن مدرسة علمية شارك فيها رجال كثيرون من أهمهم: تاج الأخيار بن أَكْفَيْ إيرصْ الأنصاري –جد (كلْ إِسْمُتَنْ)– الذي قال عنه الشيخ طه: «ولم يزل في المدرسة حتى أخذ من العلم ما شاء الله أن يأخذه، وتزوج إسحاقية وولد منها وتناسلا بالفرسان والشجعان وهم مشهورون في بلاد منكا[2]»، قال الشيخ طه: «.. الفقيه بن مرزوق من أرباب أعنة العلم.. وتسميته بالفقيه لاشتهاره بالفقهية، فلعله هو الذي كثيرا ما يقول فيه الحطاب في حاشيته: وفي أجوبة ابن مرزوق وفي مسائل ابن مرزوق[3]». ثم تولّى بعد الفقيه ابنه آنف، ثم تولّى بعد آنف ابنه ضاف، ثم تولّى بعد ضاف ابنه الصالح، ثم تولّى بعد الصالح ابنه حمّهود، وفي أيامه انقرضت إمبراطورية مالي وحلت مكانها إمبراطورية السونغاي على يد مؤسسها سنّ علي الذي لم يكن على علاقة جيدة مع العلماء، فانقطعت ولاية الإسحاقيين العلماء إلى زمن الحاج محمد أسكيا، والذي أعاد لهؤلاء العلماء ولايتهم السابقة، ثم لم يزالوا فيها إلى انقراض إمبراطورية السونغاي، فعمت المنطقة الفوضى والظلام واليأس، وبدأ إولّمّدن يكوّنون سلطنتهم ويوسعون حدودها إلى أن وصلت إلى إدكصهك، فصالحهم إدكصهك ولم يحاربوهم قال الشيخ العتيق: «..كل حي منهم يكون فيه سيد يتكلم مع الأمراء في شؤون قومه[4]»، وحالة إدكصهك في أيام إولّمّدن ما قاله الشيخ العتيق: «.. لم يوافقوهم ولم ينافقوا في شأنهم، بل أظهروا لهم كثيرا مما يكتمه غيرهم من إنكار بدعهم وغصوباتهم، ولم يعاملوهم بالمداراة التي يعاملهم بها غيرهم،

---

[1] من أعمال أنسك الشرقية.

[2] الروضة، مصدر ساق، ص 9.

[3] الروضة، مصدر ساق، ص 14.

[4] الجوهر، مصدر سابق، ص 81.

فحطّوا مرتبتهم، ولم يعترفوا لهم بأية فضيلة لا من جهة تعظيم أهل العلم منهم ولا تقريب أهل النجدة منهم، وصيروهم من قبائل الرعايا التي تقوم بسياسة المواشي وتنميتها وأداء المغارم منها[1]»، وإلى حالتهم في مثل تلك الأيام أشار أحمدُ بن عبد السلام في هذه المخطوطة: «حدثني الثقة عبد الله بن عبد السلام ومحمد يحيى بن أحمدُ بن عبد السلام وأحمد بن عبد السلام، أنهم زاروا الشيخ القطب (أنار بن حماد السوقي)، فحياهم الشيخ فقال لهم: كيف حالكم بالقبائل؟ فقال له أحمدُ: الغَلْغَالِيُّون –عرب الصحراء– هم الذين أحاطونا أولا على أموالنا بالسرقة والنهبة والاختلاس والحروب، والآن تركونا وخلّوا سبيلنا حتى كأنهم تنادوا واجتمعوا على ترك ذلك. وخلفهم إلينا الآن قبائل الطوارق المسمى (كلتماشق) فضمّونا بأنواع المضار: بالسرقة والغصب والبغض وغير ذلك، حتى كأنهم تنادوا على ذلك واتفقوا علينا بالإذاية لنا[2]». وهذه ملخص الحالة التي يعيشها إدكصهك في تلك الفترة، إلا أن هذه الفترة لم تمكث كثيرا حتى جاءت فرنسا فافترق إدكصهك فرقتين: فرقة تابعت إولمدن أو أجبرتهم إولمدن على متابعتهم، فحاربت فرنسا معهم، وهي إِدُوغِرِتَنْ ومن تابعهم، وفرقة سارعت إلى مصالحة فرنسا فكوّنوا بذلك إمارة قوية أعادوا فيها فضلهم السابق ومجدهم الذاهب وقوتهم السالفة، وهي إِهَنَقَّتَنْ ومن تابعهم، ثم لم تمكث الفرقة الأولى أن صالحت فرنسا في زمن فَالِ بن أُوفَدْ في بلاد منكا[3]، وهاتان الإمارتان هما أهم الإمارات الإسحاقية في زمن الاستعمار، إلا أن إمارة إهنقتن هي الأقوى ولذا سأتناولها تفصيلا والأخرى إجمالا.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك إمارات لإدكصهك غير هاتين وإن كانت لم تبلغ من الشهرة والقوة ما بلغت إليه هاتان، وسنشير إليها.

---

[1] الجوهر، مصدر سابق، ص 74.

[2] مخطوطة مكونة من صفحة واحدة في مكتبتي، بتلخيص وتصرف يسير.

[3] الجوهر، مصدر سابق، ص 82.

## أولا: إمارة إهَنَقَّتَنْ:

### التأسيس:

في بداية دخول فرنسا في القرن الثالث عشر الهجري إلى هذه المنطقة صالحها إولمدن بيد أميرهم مديدُ ثم لم يمكثوا إذ نقضوا المصالحة بيد أميرهم فهر بن الأنصار، فانتهز السيد الصديق بن المهاجر الأدكصهكي هذه الفرصة الذهبية ليصالحهم هو الآخر، وذلك بعد ما بدا له بالنظر والرأي السديدين ما سيصير إليه إدكصهك بهذه المصالحة من الخير والعاقبة الحسنة واستراحة للمسلمين، فما كان منه إلا أن بادر إلى مصالحتهم ليكون ذلك سببا لبقايا المسلمين، فقصدُ هذه المصلحة رأيا منه واجتهادا لا تبعا، فصوّب الله رأيه. وحيثما سمع نقضَ فهر مصالحة فرنسا لم يزل قائما ومترددا في الناس وماشيا فيهم وهم في (نقْ) ويطلب منهم ويستحثهم على الهروب والفرار من أيدي البرابر الظلمة (إولمدن وإخوانهم من الطوارق) إلى مصالحة فرنسا في (أنسغُ) ليمكنهم ذلك من البعد عن البرابر الظلمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن إولمدن لا يتجرؤون على غزو إدكصهك وهم وراء فرنسا، ويقول لهم الصديق مرة بعد مرة: إني أخاف عليكم سطوتهم –البرابر– وإغارتهم عليكم، ولم آمنهم عليكم، ورجوعهم عليكم. ثم ارتحلوا من (نقْ) بعد نفاد نهره، فالبعض سلكوا جانب الغرب من واد إِنْكَرْغَنْ وتَغَوْغَنْ وأَوَغُتْ ومن هؤلاء السيد الصديق، ولم يزالوا في الارتحال إلى أن نزلوا بتِمِّنْغَسْ وأقاموا بها. والبعض الآخر سلكوا جانب الشرق من الواد المذكور حتى نزلوا بإِضِيلَمَنْ وأقاموا بها. ولم يزل الصديق مترددا بين تمنغس وبين إضيلمن يأتي هؤلاء ويأتي هؤلاء وهو يستحثهم على الفرار من البرابر، ويخوّفهم سطوتهم وإغارتهم عليهم وسلبهم ما في أيديهم بعدُ، ولم يزل كذلك حتى يئس منهم فارتحل إلى مصالحة فرنسا ولم يتبعه إلا ستة رجال من حيّه أهل تمنغس وهم: (أحماد بن وَنْبِنْكَرْ ومولَ ووَطَاكْ وسَلُهُ وأَنَّتْمَا وبَشَرْ) و بقي من عداهم من المجتمع، وسار الصديق وأصحابه حتى نزلوا لفرنسا في (أنسغُ) ولم يك فيه بناء يومئذ، فخرج الصَّديقْ ووَطَاكْ وسَلُهُ للمصالحة وبقي أصحابهم عند رحالهم، فلما وقفوا بين أيديهم

قالوا للمستعمر: نحن ههنا أتينا إليكم، فقال لهم رئيس المستعمر: فما حاجتكم؟ فقالوا له: المصالحة، وأن تعدّونا في مساليكم، وأن تتركنا نعبر البحر وراءكم، وجزيتكم مدفوعة إليكم، فأجابهم بذلك كله بشرط الجزية قدرها ثلاثة أثوار، فقال لهم المستعمر: ما أميركم؟ فرفع وطك رأسه ليره المستعمر شاخصا بصره إلى سلُهُ فأشار سلُهُ إلى الصديق للإمارة عليهم واتفقا عليه وأمّراه، وحينئذ قطع المستعمر كتاب الإمارة على إدكصهك للصديق، وأعطوا الثلاثة الأثوار قائلا له الصديق: إن أميرنا سيأتي إشارة إلى (محمد أدركجج) ثم عبروا البحر.

فلما انتشر هذا الخبر ووصل إلى البرابر غزوا من بقي منهم بقيادة (فهر بن الأنصار ومديدُ ولاوَيْ وأُظُّهُرْ) ولم يشعر بهم الناس حتى وقعوا فيهم في إضيلمن وتمنغس وغيرها، وشنّوا الإغارة عليهم فرسانا وركبانا، ولم يتركوا إلا ما لا يرونه أو ما لا يعبئوا به أو ما عجزا عنه حتى جمعوا الألوف من بقر وغنم إدكصهك. هذا وقيل أول ما شنت الإغارة على أهل إضيلمن، فلما وقع فيهم أرسلوا رسلا إلى أهل تنغس يحذرونهم وينذرونهم ما وقع بهم، فلما سمع أهل تمنغس هذه الأخبار والنهب هربوا متبعين الصديق وأصحابه المهاجرين إلى وراء البحر، فسمع الإولمدانيون بهم بعدما انتهوا من إغارة وسلب أهل إضيلمن، فقصدهم سرية قائدها (مديد) فلم يدركوهم فسألوا عنهم السوقيين الموجودين هناك، فقالوا لهم: إنهم هربوا منكم منذ ليلة ويوم وقد فاتوكم، ففال البرابر للسوقيين: خذوا هذه الركاب واتبعوهم وردوهم لنا قبل بلوغهم إخوانهم (المهاجرين)، وإذا أدركتموهم فقولوا لهم: إن المنهوبات والمغصوبات سترد إلى أصحابها، وليس إلا العافية والخير، فركب السوقيون واتبعوهم ولحقوا بهم بعدما أشرفوا على الوصول، وقالوا لهم ما أملاه عليهم البرابر، فصدّقوهم في ذلك ورجعوا بهم حتى أوصلوهم إلى أيدي البرابر كامنين لهم في بيوت السوقيين، فقاموا إليهم ومسّوهم بما مسّوهم من ضرب وتعذيب حتى تجرّأ أحدهم ففقأ عين أحدهم، فأخذوا كل ما معهم وحازوه وجمعوه بين أيديهم ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم.

ولما صفرت أيدي إدكصهك من أموالهم ونفضت ولم يبق لهم إلا الهلاك، وردوا البحر قاصدين (المهاجرين) في أربندا، ومات منهم جوعا وعطشا مائة وخمسون شخصا بين الرجال والنساء والصبيان قبل الوصول.

قلت: وهذه الإغارة هي التي أشار إليها الشيخ العتيق السوقي: «حدثني الشيخ الوالد عن بعض أشياخهم أنه لما أغار عليهم بعض المغيرين في أيام دخول فرنسا للبلد وذهبت أموالهم وهاجروا من موضع الإغارة في الصحراء إلى ماء البحر، مات من مجموعهم ثلاثمائة شخص فيهم مائة من حفاظ القرآن[1]».

فلما وصلوا إلى إخوانهم في أَرَبَنْدا مكثوا بها سبعة أعوام، هاك شيئا من تفاصيل ما جرى في تلك الأعوام: إنه لم يعقد فيهم نكاح منذ أن وصلوا هناك إلى أن خرجوا منها، وساح رجالهم في الأرض للتجارة ولتوطيد العلاقات بينهم وبين أهل المنطقة (السوادين)، وكانوا يتاجرون في مالي والنيجر وبوركينا فاسوا ونيجريا إلى غُوسِ ووَلْتَ وسَكَطَوْ و هدّارْ ولَيْغُظْ وغيرها.

قلت: فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، هذه الإغارة هي التي زادت في إرساخ العلاقات الجيدة بين هذا المجتمع وبين السوادين، فهذا المجتمع من أكثر أهل الصحراء حبا للسوادين وقبولا لهم واتصالا بهم، فالمتابع لقصص أجدادهم لا يكاد يسمع تجارتهم ولا علاقتهم بغير السوادين، فقد كان أجدادهم يعرفون أراضي مالي والنيجر وبوركينا فاسوا ونيجيريا شبرا شبرا.

وتوفي أميرهم الصديق هناك بعد أن كانت منه إشارة إلى محمد أَدَرْغَجُجْ للإمارة، إلا أن الناس أمّروا غيره (الفقيه أَلْغَمَيْرِ بن أَيْلَلَّ) وقام فيهم ما قام فاتهمه الناس باختلاطه للبرابر وقالوا له: بالأمس نزعنا أيدينا منهم، أفتردنا إليهم؟! فسلّم لهم الأمر فعزلوه وأقاموا مقامه (أَسْغَيَّرْ بن أَمَّدْ) وقام فيهم ما قام، ولكن الإمارة لم تثبت حتى وصلت إلى يد (محمد

[1] الجوهر، مصدر سابق، ص 78-79 بتلخيص.

أدرغجج) والذي أبى لهم ذلك في بداية الأمر ويعتذر لهم اعتذارات يردونها عليه، فقبله آخر الأمر بشروط منها: أن لا يتعرض للخصومات والمنازعات التي تكون بينهم، ولا يتعرض إلا لما بينهم وبين المستعمرين وما بينهم وبين المجتمعات الأخرى، وأن يرجعوا من أَرَبَنْدا إلى بلادهم، فقام عبد السلام فضرب صدره وقال له: أنا القائم بذلك! فأعلموا المستعمرين بالأمر، ثم عادوا وارتحلوا من أربندا إلى بلادهم فمروا بأَوْظَا قرب أنسغُ ونزلوا بها أياما.

**قصة وقعت لهم بأوْظَا تجدر الإشارة إليها:**

بعد نقض فهر بين الأنصار مصالحة فرنسا عزمت فرنسا على قتال مناقضي المصالحة وكل من يتابعهم، فبعث جيشا بقيادة (الشيخ سدات الكنتي)، فسار وجال إذ وقع على حي من السوقيين من أهل تكيرتنْ بعدما انفصلوا عن الإسحاقيين وأرادوا اللحوق بمناقضي المصالحة، فصفد الجيش منهم أعيانا ليقتلوهم، وهذا في أرض (مَجيبُ) قرب أنسغُ، إذ أتى الجيش جماعة من إدكصهك منهم (أيوب ابن الأمير محمد أدرغجج وآدم بن مالك وآمَدَنْغ) يحملون رسالة من الأمير أدرغجج وخاصته عبد السلام بن محمد وآدم بن محمد، يستشفعون من (سدات) لأولئك السوقيين ويعتذرون لهم اعتذارات منها: هم أساتذتنا وأمناؤنا، وقتلهم ثلمة في الدين، فشفّعنا لهم واحللهم لنا وارددهم إلينا، هذا بعض مضمون الرسالة. فلما قرأها الشيخ سدات قبلها فوضع عنهم الأغلال وخلّى سبيلهم بشرط أن يرجعوا لِمن الرسالة من قِبلهم، وإلا قتلهم، فأجابه السوقين ورضوا بذلك، فجاءوا محمد أدرغجج، وأقاموا تحت إمارته، فلما اطمأنت قلوبهم ولاحت وجوههم قال شاعرهم:

أجـــدر النـــاس بمـــدحٍ إهنقَّـــــتنْ لعمـــــري

إذ أتاهـــــم فقهـــــاء وعلـــيهم وَســـم ضـــري

ثم ناداهـــــم منـــــاد غـــير معـــروف بغـــدر

واسمـــه عبـــد الســـلام فهـــو صـــادق كفجـــر

بـــــخٍ بـــــخٍ لمحمـــــد إنـــــه جـــــابر كســـــر

وتفرقوا في الناس لمعايشهم وأنفق الناس عليهم كما اعتادوا، ولم يزالوا كذلك في إمارة الأمير محمد أدرغجج إلى أن توفي رحمه الله في بلاده في سَكْنا أغَدِرْ.

هذا وتروى هذه القصة من غير هذا الوجه وملخص تلك الرواية: وفي آخر المائة الثالثة بعد الألف سمع العارف عبد السلام بعلماء سوقيين بأرض النيجر انقطعت حبالهم دون كل شيء لا ما يتعيشون به ولا ما يركبونه، فجمع المركوبات فبعث بها مع رجال إليهم حتى أوصلوهم إلى الناس ففرقهم في حي من الإسحاقيين كل بيت من هؤلاء كلف بيتا من الإسحاقيين أن يتكلف بجميع ما يمونه، فبينما هم كذلك إذ عزمت فرنسا على قتل مناقضي المصالحة فبعثت جيشا بقيادة (سدات الكنتي) فاستوصى به أدرغجج خيرا لهؤلاء السوقيين فقال له سدات: إن أدركناهم وهم دون الحدود فلا سبيل لنا إليهم وإلا نقتلهم، فبينما الأمير يعاوده لهم ويجيبه كذلك، وبالحملة بعث الأمير رجلين معه شفيعين لهم ويقول لهما سدات: دعوني أقتلهم وما حاجتكم بهم، ويقولان له: إن قتلهم خراب للدارين معا، حتى قدر الله أن يشفع لهما فيهم بسبب إلحاح الأمير عليه، فأوصلهم الرجلان إلى الناس إلى نهاية القصة السابقة. ولم يزل هؤلاء السوقيون في ولاية أدرغجج إلى أن توفي ثم في ولاية ابنه أيوب بعد انعقادها له، وبعد أعوام أرسل إليه القطب (حماد السوقي) يطلب منه أن يسلّمهم إليه يضمن له سعادة الدارين كما هو معلوم من عاداتهم، فامتثل أيوب وأرسلهم إليه.

آخر أمراء هذه الإمارة: فلما توفي أدرغجج بعد عام من الرجوع في المهجر رأى العارف عبد السلام البركة والنماء في إمارة ابنه (أيوب)، وشكرَ الله أن وجد لذلك مدخلا في قلوب بعض الأعيان من أصحابه لما أخبرهم بذلك، فأمرهم باتخاذه أميرا فامتثلوا أمره.

**السيرة الذاتية لأيوب والحالة الاقتصادية والأمنية والسياسية والاجتماعية والثقافية لهذه الإمارة:**

ولما عقدت الإمامة له قام على ساق الجد في مصالحهم دينيا ودنيويا، وبلغ في إثبات زاويتهم مبلغ الإفراط لا يسوؤهم أحد إلا وتبعه حتى يستخرج منه حقه عنوة كائنا من كان، ونظر في قومه وأعطى كل ذي حق حقه والعالم عالميته والجاهل جاهليته والحر حريته والنذل نذليته، وهذا متجهه في مجتمعه، وقد ورد إنزال الناس منازلهم ولا يتحرك أحد منهم فيما ليس له إليه سبيل إلا وعاقبه مالية أو بدنية، حتى أخذ كل بمقامه، فظهرت كلمة العلماء والصلحاء بذلك واستقام ركن الدين، ونظر بعين الإنصاف إلى القبائل المخالطة لمجتمعه في بلاده فظهر له بالنظر السديد أنه إن ترك البيض منها فلا يؤول أمرهم إلا إلى التفاتن، فطردهم ورجعهم إلى بلادهم، وهذا من المصالح الدينية والدنيوية التي قرت بها عين الشريعة.

قال الشيخ العتيق: «وكان من الأبطال ومن أهل الهمم العالية، فحاول أن يحرر قومه من سلطة كل أحد عليهم وأن ينقلهم من الضعف إلى القوة ومن المسكنة إلى العزة.. ثم ترقى بهم إلى مدافعة من يصول عليهم من الظلمة وعدم الرضا بالاتضاع، فقاموا بالدفع كما يقوم غيرهم من أهل النجدة، ووقعت بينهم وبين من يثور على حريمهم من جيرانهم أيام كان الظفر فيها لهم، واستنكف بعض الناس ذلك فهجم عليهم ظلما، ودافعوه فنُصروا، وتكرر ذلك حتى أيقن من يظلمهم أنهم لا يُظلمون ولا يصالحون ظالما، فكفوا عنهم وصاروا أمة مستقلة يقودهم البطل أيوب[1]».

وعُقدت له الإمامة وقد تتابع مرور الزمان وتطاول على مجتمعه، وقد استحكم فيهم الانكسار منذ خروج الفاجر سنّ علي في آخر المائة التاسعة، إلى ظهوره هو في المائة الرابعة بعد الألف، فصمم على إزالة الوسخات والانكسارات على مجتمعه، فأهم الأمور لديه ما به يتفق الأمر بين مجتمعه وبين المجتمعات الأخرى وبين المستعمِر، ومجتمعه لم يستسلموا لحكم

[1] الجوهر، مصدر سابق، ص 82.

المستعمر عليهم، ويقولون هم كفار ومن يتولهم منكم فإنه منهم، وهم في زمانه وقبله وحتى الآن لا يتقاضون إلا إلى فقهائهم، فبينما أيوب في سيره لا يتوقف حتى استقر له القرار بعد بذل جهد كبير، وهذا العمل مع ما بمجتمعه من عدم اتساع ما يتعيشون به إلا بقرات وغنيمات، ولم تتوسع عليهم الأرض، وقد تكنّفتهم القبائل من كل جهة بالإذاية لاستحكام الانكسار فيهم قرونا بعد قرون، فبذل جهده حتى وسّع عليهم المسارح. وقد وجد الناس في إمارته البركة والنماء في الأموال الكائنة بأيديهم وزيادة الإبل والخيل، ولم تكن لهم قبله منذ خروج سنّ علي، حتى صاروا كلهم أغنياء، ونال الناس بسبب إمارته من سعة الرزق ما يغبطه غيرهم حتى إن الناس يتواردونه من كل جهة.

هذا مع ما رزقه الله من الثبات والشجاعة وعلو المقالة، ما خاصم مع رئيس إلا ظهر عليه، وما نازع أحدا إلا علا عليه، ولا ينتهي الكلام إلا إليه. ومما رزقه الله نفوذ النظر وراء مدارك الناس والاطلاع على عواقب الأمور في مبادئها. وكان كثير المال ورزقه الله الرشد فيه، قال الشيخ أنار[1]: رزق الله أيوب مالا كثير ورزقه تأدية الحقوق فيه. وهذه من علامات سعادة الدارين التي ضمنها له الشيخ (حماد). وتحدث الشيخ العتيق مع الشيخ أحمدُ بن عبد السلام فيه، فقال العتيق: ما رأت عيني ولا سمعت أذني أحدا مثل أيوب في الرشد المالي. ومما رزقه الله أن ألبس وجهه لباس الهيبة، ما نظر إليه أحد إلا انكسرت شجاعته كائنا من كان. ومما رزقه الله حتى كأن مجتمعه اختص به دون المجتمعات الأخرى أن وضع الله البركة في كل ما تحت إمارته حتى ما ضيق على أحد رزقه ولجأ إليه إلا توسع عليه، بل يصير من الأغنياء، فتحققت القبائل الجانبية ذلك فيتعاقبون في بلاده كنهر يُورد، وقال بعض مشايخ الكنتيين يوما لقومه: من ضيق عليه رزقه فعليه ببلاد الإسحاقيين؛ فلعل قطرة من بحور بركتهم تقطر عليه. ومما رزقه الله النظر الصائب، ما أمعن النظر في شيء ولا يكشف له عن حقيقته بأسرع ما يمكن، وربما يخبر بما يأتي فيكون كما قال، وهو ملازم لأنواع الصدقات والمبرات، واتفق

[1] لم أقف على ترجمة له.

أصحابه على أنه ما رأى أحدا صفرت يده إلا أقال عثرته، وهو ملازم لتلاوة القرآن مؤديا حقه، وقد أعانه الله بكثرة ما بيده حتى ما من ماعون إلا وفي يده منه ما يكفى مجتمعه بعامين، وهو مولع بكثرة الإنفاق والهبات. وقد كملت له أوصاف الكمال الظاهرة، وأما الباطنية والسرائر فإلى الله المطلع على ما ظهر وما بطن.

فمع ما تقدم له من أوصاف الكمال فإنه لما صار شيخا فانيا يلزم الفراش، أرسل الله إليه شرار خلقه من سوادين مالي وأتوه ليلا في السدس الأخير والناس نيام إلا أربعة أشخاص، فحملوه في سيارتهم، فما ظهر له أثر ولا سمع له خبر بعد ذلك، وهذا عند استقلال مالي بعد أن قام فيهم كأمير أربعين سنة. وفيه قال متّال السوقي قصيدة مطلعها:

جـــزاك الله يا أيـــوب خـــيرا  بجـاه المصـطفى ووقـاك ضـيرا

**الحدود التقريبية لهذه الإمارة:**

من تيلابيري جنوبا إلى أحواز كيدال شمالا، ومن داخل أنسغُ غربا إلى ضواحي منكا شرقا.

**المعالم التاريخية لهذه الإمارة:**

ومن المعلوم أن سلاطين السودان الغربي لم يهتموا بالجانب العمراني بصفة عامة، بقدر ما اهتموا بالجانب الإنساني، فالأخير هذبوه غاية التهذيب وبعّدوه عن كل ما ينقص من قدره، وأما الأول فلم يهتموا به، ولذا ليس غريبا أن لا تترك هذه الإمارة آثارا كثيرة، ولكن في النهاية تركت معالما منها: بناء مدينة (أنسغُ) في أوائل المائة الرابعة بعد الألف في عهد (محمد أدرغجج)، فقد كان هو و(أَمْغَرْ انْبُرَّ) و(أمير باج) هم الذين وضعوا الأساس الأول لها، ثم ارتحلوا عنها فكمّل بنائها إخوانهم السونغاي، كما تركت قرى كثيرة في غرب منكا وآبارا متعددة[1].

[1] أخذت تفاصيل هذه الإمارة من: الروضة الإسحاقية، مصدر سابق، ص 7-23، ومخطوط بدون عنوان فيه تفاصيل هذه الإمارة من أولها إلى آخرها، أخذتها في السنة الماضية من العالم الكبير (حمّ أ غ أحمد الأبجي)، وهو مكوّن من 10

صفحات بخط إدكصهك، فقد كان هو والروضة هما اعتمادي في هذه الإمارة، والمعلومات التي أتيت بها منهما بتلخيص كبير. ثم الجوهر، مصدر سابق، وأحلت إلى الأمكنة التي أخذتها منه. ثم مقابلة مع الشيخ (إبْلا أغ حَدَبَّ الأبجي) صباحا قرب (تَغَضَيَّتْ) بتاريخ 04-06-2017.

## ثانيا: إمارة إدُوغِرتَنْ:

سبقنا أنهم ومن يتابعهم تابعوا إولمدن في بداية دخول فرنسا فحاربوها معهم، ولكن سرعان ما صالحوها فصاروا مستقلين عن إولمدن بيد (فالِ بن أُوفَدْ)، ثم لما توفي أقيم مقامه (محمد بن أَبْلِلْ)، ولا أدرى من خلفه وإنما أعرف أن مالي استقلت في زمن أمير لهم اسمه (مَديتْ).

**الحدود التقريبية لهذه الإمارة:**

من الحدود النيجرية جنوبا إلى منكا شمالا، ومن منكا غربا إلى نهاية مسارحهم شرقا.

**المعالم التاريخية لهذه الإمارة:**

وهذه الإمارة هي التي وضعت الأساس الأول لمدينة (منكا) التي تمثل أكبر تجمع وأهم منطقة لإدكصهك بصفة عامة إلى الآن، كما تمثل إحدى المناطق الثقافية الكبرى لهذا المجتمع[1]، كما خلفت قرى أخرى[2].

[1] الثقافة الإسلامية عند الطوارق في مالي والنيجر/ أحمد خميس نوح، بحث تخرج 2004، ص 46.

[2] الجوهر، مصدر سابق، ص 82، ومقابلة مع الشيخ (إبْلا أغ حَدَبَّ الأبجي) صباحا قرب (تَغَضَيَّتْ) بتاريخ 04-06-2017.

## ثالثا: إماراتهم غير هاتين[1]:

1- **إمارة تَبُهُو**: كانت هذه الإمارة في ضواحي مدينة أضرنبكر، وأول أمير لهم اسمه (بُوبَزْ بن حَبِيبْ).

1-**إمارة أَبَكُتْكُونْ**: وأول أمير لهم اسمه (حَدِتْ أو وَنْغَوْغَوْ) ولما توفي أقيم مقامه (حدَلْبَشَرْ) ثم لما توفي أقيم مقامه (مُتَّفَى).

2-**إمارة إداشَّريفْ**: وأول أمير لهم اسمه (أوحِدْ).

3-**إمارة تَرْبَناسا**: وأول أمير لهم اسمه ( أَبْلِلْ أو السيوطي).

4-**إمارة كلْ** آظارْ: وأول أمير لهم اسمه (محمد بن الشافَعَا).

5-**إمارة إبْهانْ**: وأول أمير لهم اسمه (أحمد).

[1] مقابلة مع الشيخ (إبْلا أغ حَدَبَّ الأبجي) صباحا بقرب (تَغَضَيَّتْ) بتاريخ 04-06-2017.

***التنظيم السياسي لهذه الإمارات:**

في البداية فإن اسم (إدوغرتن) عبارة عن مجموعة كثيرة من القبائل، واسم (إهنقتن) له نفس الدلالة، وقد كان الأمير فيهم يعمد إلى وضع سيد في كل حي من أحيائهم، ليكون بمثابة كابل بينه وبينهم، إلا أنه لا يتكل عليه في كثير من الأحيان بل يتابعه ويضع الجواسيس في طريقه، لكي لا يتمكن من كتم ولا ستر أي شيء يجب أن يخبر به، ولا يتمكن من غشهم، ولا أن يفعل بهم ما لا يريد الأمير فعله. ويكون للأمير مستشارون خاصة ينتقيهم من العلماء ورؤساء القبائل، يستشيرهم في كل الأعمال التي يريد أن يقوم بها، فإذا وافقوا فبها ونعمت، وإذا خالفوا فسيترك الأمر غالبا.

وبتقريب أولئك العلماء كانت الحركة العلمية في هذه الفترات قوية جدا، فنرى في كل حي بل في كل أسرة علماء يختصون بإلقاء الدروس وتعليم الناس والإفتاء، كما أن في كل قبيلة قاضيا يعين من قبل الأمير ليفصل بين المتخاصمين والمتنازعين.

## الفقرة الثانية: إدكصهك والعلم الشرعي والأدبي-اللغوي:

### *أولا: الشرعي:

**تمهيد:**

قال حدمحمد أغ غيدي: «لا يستطيع أحد خداع أدكصك[1] إلا بالدين[2]»، وقال الشيخ العتيق: «..وكانوا يستغنون بالحلال عن الحرام، ويواسون بأموالهم العلماء والفقراء وذوي القربى والغرباء.. وأكثرهم عوام جل همهم تنمية الأموال وحفظها، مع حسن السمت والتمسك بالديانات.. وفيهم الصالح والتقي والورع، من لم ينفعوه لم يضروه، وأحب الناس إليهم أهل العلم، وأبغضهم إليهم أهل الفسق واللهو، وكان لعوامهم مزية على غيرهم من العوام بما يتمسكون به من الديانات وكف الأيدي عن الظلم[3]». فهذه الميزات التي ذكرها الشيخ من أهم المبادئ التي تدعو إليها الشريعة، وهم متمسكون بالشريعة أيما تمسك، ويوجد في كل أسرة منهم عالم يعلمهم ما يحتاجون إليه في دينهم، ويدرس القرآن ويحفظه للصبيان، وقلما تجد بيتين منهم في الصحراء ولم تر مسجدهم وتسمع أذانهم وتراهم يحضرون للصلاة، ولجل مساجدهم ورد خاص بعد كل من صلاة الصبح والعشاء، وهو قراءة حزب كامل من القرآن، ولجل حفاظهم ورد خاص أيضا بكل واحد على حدة، وهو ختم القرآن في كل سبعة أيام، وهذا وذاك في الرأس. قال الشيخ العتيق: «وأما حفظ القرآن فهم من أكثر الناس عناية به، ويوجد فيهم من الحفاظ ما يزيد على المائة.. وحدثني الشيخ الوالد أنه لما أغار عليهم بعض المغيرين في أيام دخول فرنسا للبلد، وذهبت أموالهم وهاجروا من موضع الإغارة في الصحراء إلى ماء البحر، مات من مجموعهم ثلاثمائة شخص فيهم مائة من حفاظ القرآن، وكذلك حدثني بعض ثقات أصحابي ممن يخالطهم مخالطة زائدة على مخالطة كثير من الناس

---

[1] أدكصهك مفرد وجمعه إدكصهك.

[2] مقطع صوتي أرسله عبر واتساب في مجموعة (ملتقى أحباب إدكصهك) هذه السنة.

[3] الجوهر، مصدر سابق، ص 74-75.

لهم، أنه يوجد فيهم مائة من الحفاظ في عام ألف وثلاثمائة وسبع وستين من الهجرة[1]». وأما الشيخ إبلا أغ حدبّ فقال لي بأنه منذ ميزّ بين يده اليمنى من اليسرى لم ير من (إبجَّنْ) – قبيلة من قبائل إدكصهك– أقل من سبعين حافظا إلى الآن، وكذلك لم ير من تجاوز عشر سنوات ولم يختم القرآن[2]. وإذا كان هذا في قبيلة واحدة فكيف بالقبائل الأخرى منهم!

**مذهبهم العقدي:**

جلهم من الأشاعرة ولا يعرفون غيره إلا عندما بدأ بعضهم بالاتصال بالدول الأخرى مثل السعودية منذ سنوات عديدة.

**مذهبهم الفقهي:**

جلهم من المذهب المالكي إلا أن علماءهم يفتون أحيانا بما يخالفه مع الانتساب إليه، وأهم ما لا يتمسكون به في مذهب معين ما يتعلق بأحكام الأسرة.

**طريقة تعليمهم العلوم الشرعية:**

قال الشيخ محمد سعيد: «كانوا يبادرون الصغار بتعليم القرآن أولا إلى أن يكمله من يكمله أو يقرأ فيه ما شاء الله، ومنهم من يتقنه حفظا في سنتين أو أزيد، ومنهم من يكمله ولم يحفظه فيحفظه بعدُ، ومن يستكمل عمره في تحصيل حفظه أو إتمامه. ثم يلقن الشيخ التلميذ ثانيا صغار الكتب في العقيدة والفقه كمتن الأخضري ورسالة أبي زيد القيرواني وابن عاشر ومقدمة العزية، ومنهم من يكتفي بذلك، ومنهم من يقرأ مختصر الشيخ خليل مرة أو مرتين أو مرات حتى يتقنه حفظا أو فهما أو هما معا، أو حتى حصل على درجة الإفتاء وهم الأكثرون.. ومنهم من مارس العكوف على كتب الأصول وتفسير القرآن[3]».

---

[1] الجوهر، مصدر سابق، ص 78– 79.

[2] المقابلة السابقة معه، وله من العمر 81 سنة. ومعنى ختم القرآن: أن يقرأه الصبي كله على يد المدرس دون الحفظ.

[3] الزبدة، مصدر سابق، ص 15 بتلخيص.

**بعض علمائهم في الشريعة واللغة والنحو:**

قال الشيخ محمد طه بن سعد الدين: «أدركت المائة الخامسة من علماء المائة الرابعة بعد الألف أعيانا منهم: الشيخ العلامة والبحر الدراكة وليّ الله أحمد بن عبد السلام، والشيخ الأديب محمد أحمد بن عبد السلام وله تآليف عديدة وقصائد مشهورة ومن الشعراء الإسحاقيين المشهورين في أيامه.

ومنهم الشيخ الفاضل الأديب العالم النحرير فاضل بن الحسن.

ومنهم الشيخ المشهور في البلدة الإسحاقية البكّى بن الوافي وهو من أرباب الدولة الإسحاقية العصرية.

والعالم المعروف الزّمْزَمْ بن حَيْنَحَ.

والشيخ محمد بن عالي وأخوه محمد.

والشيخ أحمد محمد بن الأمين.. وغيرهم ممن لا ينعد.

وتوفي في المائة الرابعة بعد الألف من العلماء: والدي –رحمه الله تعالى، والشيخ الثقة الجليل الجد والده.

والشيخ المعروف العارف عبد السلام المقبول في نواحي البلدة الإسحاقية، وابنه الفقيه الحافظ للقرآن محمد، وابن أخته العم الفقيه الشاعر الحافظ للقرآن المكّا بن أحماد.

والشيخ الفقيه الحسن والد الشيخ فاضل.

والشيخ الفقيه إدريس بن عبد العزيز.

والشيخ الفقيه حَيْنَحَ والد الشيخ الزّمزمْ.

والشيخ الفقيه محمد يَنْغَ، وأخوه سيْدحا.

والشيخ المتوسَّل به أحمد أَبَّ، والشيخ وانْبَابَ، والشيخ الفقيه الْوَافِي والد الشيخ البكّى.

ومن رجال المائة الثالثة بعد الألف: الشيخ الفقيه القالي بن أَنِّينَا وهو ممن تفقه به الشيخ الفقيه آدم.

والشيخ العم ولي الله الحسين بن سيد محمد، وابنه المعروف بالشيخ.

والجد التقي العالم الصوفي حُمُّو.

والشيخ محمد بن القالي جد الشيخ فاضل بن الحسن، وهو من شيوخ الجد محمد أَبْلِيلْ.

والشيخ الفقيه الصَّالحْ جد الشيخ البكّى.

والشيخ الفقيه عبد العزيز والد الشيخ الفقيه إدريس.

ومن رجال المائة الثانية بعد الألف: العالم التقي الصوفي المعروف بالزهد والورع الجد سيد محمد والد الجد حُمّو، وابن عمه التهامي الذي قيل أنه أول من أقبر ب(تبذابذت)[1].

والشيخ المتوسَّل به الولي الجد أَحْمادْ بن يحيى دفين (تَغُولَفْ) أحد شيوخ شيخ المشايخ وَفَلِغَنْ.

والشيخ أبو محمد بن أحماد المذكور دفين (ناقْ).

[1] المقبرة المشهورة عندهم.

والشيخ والَغَنْ وهو ممن تفقه به الشيخ وفلغن.

ومن أهل المائة الأولى بعد الألف: الشيخ العالم العلي الولي المتوسّل به الجد دَغَجِ جد الجد سيد محمد من أمه، وهو ممن تفقه به.

والشيخ البخاري والطيبي الدغوغيان.

والشيخ الفقيه حَمِتُّ.

والشيخ الفقيه هَابُ الله جد العارف عبد السلام.

ومن أهل المائة الموفية للألف: العالم الولي المتوسّل به الجد إِدَّرْفُو. والشيخ ولي الله المتوسّل به والده خارجةَ، وهما من جدود العارف عبد السلام وذكرهما في كتابه من الأولياء المتوسلين به.

والشيخ أبو بكر الصديق جد الكاتب من آبائه.

وهؤلاء من رجال المائة التاسعة الذين ادركتهم الموفية للألف.

ومن رجال المائة الثامنة من العلماء الذين أدركتهم التاسعة: أدًّا والد الجد خارجةَ وهو ابن أوَتَا بن شريف تندرْ بن الفقيه بن مرزوق بن آيتّ، ووالد الجد أبي بكر الصديق المذكور أحماد بن محمد بن شريف تندر بن الفقيه بن مرزوق بن آيت، ووالد الجد حمّهود وهو الصَالحْ بن ضاف بن آنفْ بن الفقيه بن مرزوق بن آيتّ. فوالد هؤلاء الجدود الأربعة وهو الفقيه بن مرزوق من أرباب أعنة العلم، وكنيته ابن مرزوق، وتسميته بالفقيه لاشتهاره بالفقهية، فلعله

هو الذي كثيرا ما يقول فيه الحطاب في حاشيته: وفي أجوبة ابن مرزوق وفي مسائل ابن مرزوق»[1].

[1] الروضة الإسحاقية، مصدر سابق، ص 12-13.

**مؤلفاتهم:**

لا يعتنون بالتأليف كثيرا؛ نظرا لعدم توافر الوقت الكافي للتأليف، فجل حياة كبار علمائهم كانت حياة ترحال ورعي، ومع كل ذلك فلقد ألف البعض منهم في هذا الجانب مؤلفات عديدة من أمثال: الشيخ عبد السلام، والشيخ محمد سعيد الإسحاقي، والشيخ طه، والشيخ إدريس... في مجال الفقه والتاريخ ومصطلح الحديث...

**رسائلهم الفقهية:**

ونظرا لعدم احتياج الرسائل إلى الوقت الذي يحتاج إليه التأليف، أكثروا منها كثيرا، وفي مكتبتي رسائل فقهية كثيرة لهم بعضها مطولة من ست صفحات إلى ما فوق العشرات، وبعضها مقصرة من صفحة واحدة إلى ست، والبعض منها في الفقه والبعض في العقيدة، وهاك بعض منها:

**النموذج الأول: رسالة الشيخ محمد الخير بن بجي إلى الحسين بن البشير الإسحاقيين:**

**نص الرسالة:**

«بسم الله وكفى، والسلامان على المصطفى، أما بعد:

فإلى الأخ في الله والنسب (الحسين بن البشير) أعزه الله دنيا وأخرى من التسليمات والتحيات ما ينبغي من مثلي لمثله، ثم ليكن في كريم علمك أنه وصل إلي رسولك ورأيت الرسالة التي كتبها بعض علم–ائنا السوقيين له أغزر الله كورتهم وجعل أقدامهم فوق الأقدام، فهم الرأس في العلم وغيرهم الأذناب، وإني لا أعد نفسي من الذين بلغوا درجة من يرد عليهم، وأقول لك خاصة فيما بيني وبينك: اعلم يقينا بأني أضن بنفسي جدا من الدخول في

الجدال، ثانيا: اعلم أن إمامنا (مالك بن أنس) نص في المدونة على أن تحريم الزوجة ثلاث، وهو إمام الأئمة حديثا وفقها، وكذلك قال علي بن أبي طالب.

وأما غير ذلك من الأقوال الواردة في المسألة فإنما يصح الاستدلال بها لقوم لا يعرفون التحريم من الطلاق.

ولما سئل اللخمي عمن قال: الحلال عليه حرام، أجاب بقوله: إن سمع أن التحريم يكون طلاقا حمل على الثلاث، وإن لم يسمع وأخذ بقول أنها واحدة بائنة لم أتعرض له.

قلت: القول بأنها ثلاث هو المشهور من مذهب مالك، ويليه في الصحة القول بأنها واحدة بائنة.

واعلم أيضا أن العرف والعادة هما رحوا الشرع اللتان تدور عليهما الأحكام الشرعية، ولا شك أن العادة في التحريم في هذا البلد الثلاث، كما عليه من أدركناه من شيوخنا بدليل أن الزوج لا يتلفظ به عند إرادة التطليق، إلا إذا أراد تشديد الطلاق.

محمد الخير بجي

والسلام[1]»

**النموذج الثاني: رسالة محمد سعيد بن محمد الإسحاقي في عطلة يومي الخميس والجمعة:**

**نص الرسالة:**

«بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على طه الكريم، أما بعد:

فقد سأل بعض الطلبة عن دليل عطلة بطالة المتعلمين في يومي الخميس والجمعة التي مضى عليها عمل المسلمين شرقا وغربا شمالا وجنوبا منذ عصور قديمة وحقب عديدة، وكم

[1] مخطوط مكون من ورقة واحدة بالخط الإسحاقي، بمكتبتي.

يسأل عنها مرارا وتكرارا، ولم أر من أجاب عن السؤال بشيء، فكتبت في الجواب ما يجديه إلي التفتيش في الكتب التي بأيدينا مع غاية من التشويش، فقلت وبالله التوفيق:

وفي النفراوي على الرسالة عند قوله (كالنقش في الحجر) تنبيهان، الثاني[1]: أول من جمع الأولاد في المكتب عمر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه– وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم التعليم وجعل رزقه من بيت المال، وكان منهم البليد والفهيم، فأمره أن يكتب للبليد ويلقن الفهيم من غير كتب، وكان عمر –رضي الله تعالى عنه– يشهدهم على الأمور التي يخاف عليها الانقطاع بطول الأزمان كالنسب والحسب والولاء، فسألته الأولاد أن يشرع لهم التخفيف فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ويستريحون بقية النهاء، إلى أن خرج إلى الشام عام فتحها فمكث شهرا، ثم إنه رجع إلى المدينة وقد استوحش الناس منه، فخرجوا للقائه، فتلقاه الصغار على مسيرة يوم، وكان ذلك يوم الخميس، فباتوا معه، ورجع بهم يوم الجمعة، فتعبوا في خروجهم ورجوعهم، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين، فصار سنة إلى يوم القيامة، ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة ودعا ضيق الرزق لمن أماتها.

وقال صاحب (مرجع المشكلات) بعد نقله عن النفراوي ابن عرفة: وبطالتهم في الأعياد على العرف، وعي في الفطر ثلاثة أيام وكذا في الأضحى. سحنون: من عمل الناس بطالة الصبيان في كل يوم، ولا يجوز أكثر من ذلك إلا بإذن أولياء الصبيان، قيل له: ربما أهدى الصبي المعلم ليزيده في البطالة، قال: هذا لا يجوز. القابسي: ومن هنا سقطت شهادة أكثر الصبيان لأنهم غير مؤدين ما يجب عليهم إلا من عصمه الله تعالى أهـ.

قلت: فإذا كانت استراحة المتعلمين وبطالتهم في اليومين وفي الأعياد سنة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– الذي هو ثاني الأربعة المتفق على تفضيلهم على المشهور،

[1] التنبيه الأول لم يذكره الشيخ لأنه لا يتعلق بهذا الموضوع.

الذين يجب علينا اعتقاد أفضليتهم، والذين ولّوا الخلافة بعده –صلى الله تعالى عليه وسلم– وهي النيابة عنه في مصالح عموم المسلمين من إقامة الدين وصيانة المسلمين، يجب على كافة الخلق الاتباع لهم، ويحرم عليهم مخالفتهم، وبيّن عليه الصلاة والسلام مدتها بقوله: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا» وهذه دور ولايتهم –رضي الله تعالى عنهم– والخلفاء جمع خليفة وهو كل من قام مقام غيره في خير، وسمّوا خلفاء لأنهم خلفوا رسول الله ﷺ في الأحكام، وحضّنا ﷺ على اقتفاء آثارهم بقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ» وقال أيضا: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقوله: «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر» أهـ.

فإذا كان العمل بالبطالة في اليومين وفي العيدين قد سنه عمر –رضي الله عنه– أجمعت عليه الأمة من القرن الأول، قرن العلم والديانة والخير، لقوله عليه الصلاة والسلام: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». فلا يسعنا إلا ما يسعهم ولن ينجينا إلا ما أنجاهم، قال عليه الصلاة والسلام: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، وفي الرسالة ممزوجا بالنفراوي: واللجأ إلى كتاب الله وسنة نبيه واتباع سبيل المؤمنين وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس، نجاةٌ، ففي المفزع إلى ذلك العصمةُ، وفي اتباع السلف الصالح نجاة، وهم القدوة في تأويل ما تأولوه واستخراج ما استنبطوه وإذا اختلفوا في الفروع والحوادث لم يخرج عن جماعتهم انتهى.

وفي النفراوي هنا أيضا: والمراد بالسلف القرون الثلاثة، وإنما كانوا قدوة في ذلك لأنهم جمعوا ثلاثة: العلم الكامل والورع الحاصل والنظر السديد، ولذا قال صاحب الجوهرة:

فتـــابع الصـــالح ممـــن ســـلفا وجانب البدعة ممن خلفا

فأشار إلى أن كل مكلف مأمور بأن يتابع في أقواله وأفعاله الفريق الصالح، قال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» وقوله عليه

الصلاة والسلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» المراد العلماء منهم.. مر إلى أن قال: عند قول صاحب الرسالة (لم يجز لأحد أن يخرج عن جماعتهم، وهم الصحابة —رضي الله تعالى عنهم- لأنهم مجتهدون، فإذا كان للمجتمعين قولان في المسألة لم يجز لمن بعدهم أن يحدث ثالثا، فإذا اختلفت الصحابة في مسألة على قولين جاز لأحد الصحابة أن يحدث ثالثا، فإذا انقرضت الصحابة بحيث لم يبق منهم أحد فليس للتابعين إحداث ثالث، وكذا إذا اختلف التابعون جاز للتابعين إحداث ثالث دون تابعي التابعين، وهكذا، لما في الخروج عن اتباع المجتهدين من خرق الإجماع، وقد إجماع على وجوب متابعة واحد من الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل —رضي الله تعالى عنهم- وعدم جواز الخروج عن مذهبهم، وإنما حرم تقليد غير هؤلاء الأربعة من المجتهدين مع أن الجميع عل هدي لعدم حفظ مذاهبهم لموت أصحابهم وعدم تدوينها.. مر إلى أن قال: ما قدمناه من وجوب المتابعة لأحد الأئمة إنما هو في حق من لا أهلية فيه للاجتهاد اهـ.

وفي نعت البدايات وتصحيح النهايات ص 1-3 إذا جرت عادة الناس بشيء ولم يكن متفقا على تحريمه فليتركوا وما هم عليه، ونص المقصود منه: إذا عمل الناس على قول لبعض العلماء فلا ينبغي إنكاره اهـ.

قلت: وهذا الإمام مالك —رضي الله تعالى عنه- كم قال في موطئه: الأمر الذي أدركنا عليه الناس أو الأمر المجتمع عندنا كذا، كقوله في صحيفة 4 ج 1. قال مالك: الأمر المجتمع عليه الذي لا اختلاف عندنا أن الرجل إذا ضرب الرجل بعصا أو رماه بحجر أو ضربه عمدا فمات من ذلك، فإن ذلك هو العمد وفيه القصاص، انتهى الغرض منه.

قلت: فحسب المتأمل ما تقدم من البطالة أمر مشروع وسنة معمولة في أقطار المعمورة منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة، وأجمعت عليه الأمة فليس له أن يعترض على من أخذ بها وعمل بها، ولا أن ينتهك حرمتها؛ لما في ذلك من خرق الإجماع، والإجماع حجة من

حجج الشرع ودليل من أدلة الأحكام، وفي اللمع في شرح أصول الفقه تأليف الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف البرازي الفيروزابادي الشافعي: والدليل على أن الإجماع حجة قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [1] فتوعد على اتباع غير سبيلهم، فدل على ان اتباع سبيلهم واجب ومخالفتهم حرام، وأيضا قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تجتمع أمتي على الخطأ» وروي: «لا تجتمع أمتي على الضلالة» وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه» ونهى عن الشذوذ وقال: «من شذ شذ إلى النار» أو كما قال، فدل على وجوب العمل بالإجماع.

انتهى على يد الشيخ محمد سعيد بن محمد

الإسحاقي الآيتي لواحد وعشرين

خلت من صفر عام

1424هـ[2]»

**النموذج الثالث: رسالة الفقيه (أحمد محمد بن سيد) إلى الأخ المرحوم الفقيه (حَمَّ بن أحمد:**

**نص الرسالة:**

«بسم الله الرحمن الرحيم، فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟ قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، فهما من الحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبيت فيه غاية التثبت، فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه.

---

[1] النساء: 115.

[2] مخطوط مكون من ورقتين بالخط الإسحاقي، بمكتبتي.

والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه؛ لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالما منه، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– ان النبي ﷺ قال: «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما» وفي رواية: «إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»، وفيه عن أبي ذر –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: «ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه».

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه، وتنتفي الموانع، ومن أهم الشروط: أن يكون عالما بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافرا أو فاسقا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء: 115]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾ [التوبة: 115-116].

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يُبيّن له.

ومن الموانع: أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه، ولذلك صور:

منها أن يكره على ذلك، فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئنانا به، فلا يكفر حينئذ لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: 106].

ومنها أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك، ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ص 180 ج 12 مجموع الفتاوى لابن قاسم: (وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصّر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاصٍ مذنب، ثم قد يكون فاسقا وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته) اهـ، وقال في ص 229 ج 3 من المجموع المذكورة في كلام له: (هذا مع أني دائما –ومن جالسني يعلم ذلك مني– أني أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسق أخرى وعاصيا أخرى، وإني أقر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعمّ الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد بكفر ولا بفسق ولا بمعصية.. وذكر أمثلة ثم قال: وكنت أبين أن ما نقل عن

السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا، فهو أيضا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين.. إلى أن قال: والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببلدية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحد حتى تقوم عليه الحجة. وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئا. وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: «إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم، فوالله لن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين، ففعلوا به ذلك، فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك! فغفر له» فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين لكنن كان جاهلا لا يعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك. والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغرفة من مثل هذا)

وبهذا علم الفرق بين القول والقائل وبين الفعل والفاعل، فليس كل قول أو فعل يكون فسقا أو كفرا يحكم على قائله أو فاعله بذلك»[1].

[1] مخطوط مكون من 5 صفحات بالخط الإسحاقي، في مكتبتي.

## *ثانيا: اللغوي-الأدبي:

قال محمد بن أحمد الإدريسي السوقي: «هناك قبائل لم تتأخر أيضا في هذا المضمار –الأدب– مثل قبائل دواسحاق[1]».

### طريقة تعليهم العلوم الأدبية واللغوية :

قال الشيخ محمد سعيد: «ومنهم من يتطلع إلى تعلم النحو فتعلم كتاب آجروم وملحة الإعراب للحريري وألفية ابن مالك، ومنهم من زاد كافيته، ومنهم من حظي بقراءة كتب المعاني كعقود الجمان والدر المنثور والتفتازاني لسعد الدين[2]». وأما الطريقة المتبعة عند إبلنغتن وإبجن فهي: يبدأ بتعلم متن آجروم ثم ملحة الإعراب للحريري ثم ألفية ابن مالك ثم لامية الأفعال له ثم مقامات الحريري ثم مختار الشعر الجاهلي ثم الكافية الشافية لابن مالك ثم المعاني.

### بعض علمائهم في النحو واللغة والفقه:

قال محمد سعيد الإسحاقي: «ومن مشاهير علمائهم القدماء: الشيخ حَمَّهودَ بن الصالح بن ضافِ بن آنفْ بن الفقيه بن مرزوق بن آيت، الذ ثبت أنه من نصحاء (كَرِدَنَّ)، رزق النصر التام والقبول العام حتى لدى إِوُلمِدَنْ.

وحفيده وَفَلِغَنْ الذي هو في زمن الشيخ (حنّا السوقي) كما شهدت له مناظرته لبعض علماء الإسحاقيين، خالفهم في مسألة ووافقه وناصره الشيخ حنّا السوقي، وأمر حنّا بعض تلامذته أن يكتب في ذلك منتصرا لوفلغن ورادّا لمخالفه وكتب في ذلك تأليفا بليغا أحسن فيه وأجاد.

---

[1] المدارس الأدبية في صحراء الطوارق/ محمد بن أحمد الإدريسي السوقي، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن –عمان، ط 1، 2010، انظر هامش كتابه ص 18

[2] الزبدة، مصدر سابق، ص 15.

ومنهم آبَلْ بن وفلغن الولي المشهور بالكشوفات المتداولة المنكفشة بعض الوقوع حينا لآخر.

ومنهم الْقالِ بن أَنَّيْنُ بن طافَ الذي كان من شيوخ آدم بن وفلغن.

ومنهم أيضا وَوُلَغَنْ بن عبد الله بن مالك الذي قيل أخذ عنه وفلغن بعض العلم، كما صحح لي ذلك ثقات منهم الشيخ محمد بن الشيخ المنير ومنهم أيضا أحمد بن إحْيا العالم المعروف والجد المألوف دفين تَكَلَفَّتْ له الكرامات العديدة منه أنه من زار قبره لأمر فزع منه نال منه مخرجا —إن شاء الله تعالى.

ومنهم أيضا محمد بن وفلغن دفين أَلِمُكْ .

ومنهم أيضا أَمّدْ بن آبَلَّ السيد النبيه والبطل الوجيه استرعى أموالا كثيرة استولى عليها إمازغنْ مرارا عديدة.

ومنهم أيضا حَيْنَحَ بن قاسم وعبد العزيز بن الحاج.. إلى من يؤدي ذكره إلى الإطالة.

ومن علمائهم في القرن الرابع عشر الميلادي آدَمْ بن محمد بن وفلغن، وابن أخيه موسى بن أوفد، وأبناء وفلغن: محمد الأمين والمرْجانْ والمنير ومحمد المختار وعبد العزيز وأحمد النجوم.

وأئمة الهدى أحفاد الشيخ حمهود —السابق ذكره آنفا.

ومنهم أيضا الولي الزاهد عبد السلام بن محمد الخصائص المجتهد بالأولويات الحميدة والخطوات العديدة في المصالح القومية والأجنبية، وله المنة على الإسحاقيين في التعليم الظاهري والباطني. وشقيقاه دَمَّتَ وامَنَحَنَّ.

ومنهم أيضا أبناء عبد السلام وأحمد ومحمد ومحمد أحمد وأحمد، العلماء الكرام الأجلاء الأعلام.

وأما المنير بن آدم فهو فريد عصره وجوهر قلادة دهره وهو مرجع المشكلات العلمية، ولقد قام بالفتوى ولا منازع له، تصدى لإقراء علم المنقول والمعقول، وتصدر في الزهادة والتقوى، كان متحاشيا عن الشبهات ومتورعا عن كل المشتبهات، وقد أحصيت له كرامات عديدة ورويت له مكاشفات غريبة، أعرق الإسحاقيين علما وشيخهم تعليما، ولقد تعرض لذكر بعض مناقبه ومناقب غيره من علماء الإسحاقيين الشاعر المفلق الإسحاقي الْمَكُّ بن أحمد في قصيدة له:

كـــذاك عبـــد الســـلام التـــارك الحســـدا كـــذا المنـــير بنـــور الشـــيخ يســـتند
كـــذاك آدم نعـــم القاضـــي قاضـــكم أهـــلا بموســـى وأحمـــد الأمـــين كـــذا
وحـوض جـدهم في الحشـر قـد نـرد

وقال أيضا شاعرهم محمد أحمد بن عبد السلام وقد هنّأ ولدا له:

ولـــد المبـــارك نجـــل آدم وابنـــه وجـــدوده علمـــاءنا وقضـــاتنا

وقال أيضا في المنير بن الشيخ آدم:

العـــالم ابـــن العـــالم ابـــن العـــالم مـــن آدم لحمّهـــودِ الحـــاكم

ومن مشاهر علمائهم ايضا الشيخ الفاضل السيد الكامل فاضل ابن الحسنْ، قاضي القضاة، وحائز سابق القصبات، رحل في طلب العلم في الحرب والسلم، وصغيره عَبْدُ.

ومنهم العالم العلامة الوافي البَكّى بن الْوافي، والفهامة الدراكة سعد الدين بن آبْلِلْ، والعالم التقي أحمد بن مختار.

ومنهم الشاعر المفلق الكاتب المنسق الْمَكُّ بن حمّادِ له القصائد الطنانة والمقطعات الفنانة، منها قصيدته الإرادية لشيخنا حماد –رضي الله عنه وأرضاه آمين.

ومن مشاهير علمائهم في أرض (مينكا) محمد بن يَنْغَ المعمر المعروف، وأحمد بن محمد الأمين، ومحمد بن عالي، ومحمد بن شعيب، وأحمد بن سيد محمد، ومحمد طه بن أحمد يحيى ، وأحمد محمد بن أبي بكر، وغيرهم»[1].

ومن علمائهم في هذا القرن من غير ما ذكر محمد سعيد: الحسين بن البشير، ومحمد الخير بن بجي، والعباس بن أَصْغَيَّرْ وأخوه سعد الدين، ومحمد الصالح بن سيد محمد، وعبد السلام بن الشيخ عثمان، وبَيْ بن فِنْدِغِشْ، وحمّدا بن الشّاتا، وإدريس بن القاسم، والميمون بن موحمّ، وسيدحا بن سيد محمد، ومحمد سعيد بن محمد، ومحمد طه بن سعد الدين، ومحمد بن حَدَحْمدْ، وسيدحَ بن محمد، ومحمود بن إسماعيل، وإسماعيل بن مَنْتَكْ، وإبراهيم بن حمَيْدي، وعبد اللطيف بن المحمود، وحَمّ بن أحمد وابنه محمد، والطاهر بن وَنْبَبَ، ومحمد أحمد بن إِصْطَفْ، ومحمد بن أحمد.

**مؤلفاتهم ورسائلهم النحوية واللغوية:**

ذكرنا أنهم لا يعتنون بالتأليف كثيرا وذكرنا سبب ذلك، ولكن البعض ألّفوا في هذا الجانب مؤلفات متعددة، وأما الرسائل في هذا الموضوع فكثيرة جدا.

**الشعرعندهم:**

وهم لا يكتبون في النثر الفني إلا نادرا جدا، شأنهم في ذلك شأن جل الصحراويين إذ طبيعة النثر لا تتماشى مع الصحراء حيث إن الهدف وراء نظمهم للشعر هو التسلية أو شبه التسلية بمعنى يعدونه كالموسيقى، وهم لا ينظمون غير الشعر العمودي، ولا يتعلمون العروض بتاتا ولكن يعرفون الأوزان بطريقة إنشادهم للشعر.

ولعل أكبر دليل على أنهم ينظمون الشعر لقصد التسلية والترويح عن النفس حين تطول بأحدهم الطريق، هذه القصيدة التي نظمها الشاعر الأدكصهكي (الميمون)، والتي سببها أنه طال به الطريق في السفر وفي الغربة في أمكنة لا يعرف فيها أحدا ولا يسلكها إلا

1 الزبدة، مصدر سبق، ص 11-14.

عابر سبيل، فنظر إلى السماء وهو على جمله (بيد) فنظم هذه القصيدة التي تحتمل نماذج من الغزل والوصف المسليين عن النفس في مثل هذه المواقف:

وكـــل مـــا ذكـــرت **بَيْـــدَ** وأبي ... اغرورقـــت عينـــاي بالتصـــبب
قـد بـتّ في البيـدا و**بيـد** صـاحبي ... قلـــت وكـــان باركـــا بجـــانبي
يا **بيـــد** هيـا نحـن في السباسـب ... فقـــال ســـم الله فـــورا واركـــب
وســـدّد النظـــر ثم صـــوّب ... في مهمـهٍ مـن دون حـي مجـدب
وبعـــد يـــوم أنـــت في التقـــرّب ... إلى الـــتي قصـــدتها في الملعـــب
قلـــت لـــه فـــداك أمـــي وأبي ... وبعـــد ذاك بقليـــل طـــار بي
والهـمّ في الغـزلان يـوم الطـرب ... بجانـــب الحـــيّ بكـــل الســـبب
وهـــن يومـــا قـــد مـــررن بأبي ... يقلـــن هـــذا عمنـــا نحتجـــب
فيهن **سلمى** وهي نفس المطلب ... كفضـــة مسســـتها بالـــذهب
وهـي مـن أجمـل بنـات العـرب ... لـــو أنهـــا في وعـــدها لم تكـــذب
لا أنـــس لـــيلا أنهـــا تلعـــب بي ... تقـــول لي إليـــك عـــني فـــاغرب
هممـــتُ بالخـروج عنـد الطلـب ... تبسّـــمتْ قالـــت لكـــي أجـــرب
ثنيـــتُ جيـــدها كجيـــد تولـــب ... تجـــني أفـــانين ثمـــار الرطـــب
تقـــول لي ونحـــن في التقلّـــب ... في ملحـــف يا ليتـــني لم تـــذهب
فتلـــك **بيـــد** قاصـــد في خبـــب ... يســـرع فيهـــا سبســـبا فسبســـب
ولم يـزل طـول النهـار يطـوي بي ... مفـــاوز الجـــرداء في التـــأوّب
حـتى إذا صـليت وقـت المغـرب ... ولا أرى مـــن أحـــد في مـــذهب
ثم أرى بكثـــــرة الترقّـــــب ... نـــويرة في البعـــد لمـــا تقـــرب
تظهـــر لي عنـــد علـــوّ المرقـــب ... وتارة تخفـــــى إذا لم أركـــــب
أدركتهـــا لبـــدوي مغـــرب ... قد يصطلي من بعد غور الكوكب
وكلبـــه يُقْعـــي جلـــوس الثعلـــب ... عـــن أربـــع وهـــو طويـــل المنكـــب
نظـــرتُ في البنـــات بالتعجـــب ... يلصـــقن بالـــترب لطـــول الســـغب
لم أر عنـــد البيـــت غـــير أرنـــب ... قطّعهـــا في القـــدر لم يطيـــب

سـلّمتُ والتسـليم حـق الراكـب عـن الـذي طارقـه مـن جانـب
فـردّ لي مـع مـا بـه مـن كـرب ذاك السـلام ثم قـال جنّـب
أعرضـت عنـه لنـزول الأدب فـبرك البعـير لا للتعـب
حططتُ رحلي والنزول طاب بي وقتئـذ ليسـتريح مـركبي
فقـال لي معتـذرا في أدب لا أقـدر الضـيف بشـيء مـر بي
والجـوع في البنـات قـد يلعـب بي وهـن في مخمصـة ونصـب
خـذ مـا جـرى بيني وبين المغرب وبـين **بيـد** في فنـون الأدب
و**بيـد** في كـل الأمـور صـاحبي[1]

ومما يدل على ما قلنا –أيضا– هذه القصيدة التي أنشأها الشاعر الأدكصهكي (إدريس بن القاسم) وهو بنفسه ذكر سبب إنشائه له فقال: سبب القصيدة أني سافرت من تَلاتَيْتْ إلى إِنْتِظِمَّيْ في أرض بلقع لا أحد بها، فلما أردت الرجوع خفت من خوض الصحاري بلا هاد يهديني الطريق ويدلني على مواضع الماء، وأنا إذ ذاك لم أعرف تلك الصحاري كل المعرفة، فطلبت من ابن أختي (السالم بن محمد بن خَنْزا) أن يرافقني، فمضيت معه راجعا، ونحن نسوق حلائب غزار الدر، فنظمت هذه المشاهدات التي شاهدناها في سفرنا، وذلك من عام 2003م.

وهو في قصيدته هذه يعرض نماذج كثيرة من تلك المشاهدات الغريبة لغير الصحراويين، ولا ينسى النصائح الكثيرة المفيدة فيها التي تحارب ثقافة اليد السفلى.

ألا في سـبيل الخـير داسـت جـواربي قفـارا بهـا تغلـي سمـوم العقـارب
قفـار تضـل السـالكين وربمـا يحـار بهـا الخرّيـت إن لم يصـاحب
إذا خاضـها مـن لم يكـن مـن رعائهـا تحـيّر إن لم يسـتعن بالكواكـب
ولم يـك هـاد يهتـدي بمنارهـا ولا بطريـق واضـح السـمت لاحـب
أعـوذ بـرب العـرش مـن هـول مـا أرى مجاهـل أرض مـن أراضـي الأعـارب
فلمـا رأيـت أني لا محالـة راكـب علـى خطـر مـرْتًا مهـول المسـارب

[1] في مخطوط مكون من ورقة واحدة بالخط الإسحاقي، بمكتبتي.

دعـوت ابـن أخـتي للخفـارة (سـالما) أتعرف هـذي الأرض مـن كـل جانـب
فقـــال نعـــم هـــذي الـــديار ديارنا مرابـــع قضّـــينا بهـــا تي الأجـــادب
يعـــالج فيهـــا الجَـــزْء جـــلّ ســـوامنا شـــهورا إلى مـــرّ الـــرياح النواكـــب
فسـرنا ومـا نلـوي علـى غـير حاجـة تخـبّ بنـا في الآل خـوص النجائـب
فألقـــت بنـــا أيـــدي المطـــيّ لتلعـــة خلاهـــا خـــلاء طيبهـــا غـــير كـــاذب
فقلـــت لـــه عـــرّج بنـــا إن ههنـــا مناخـــا وطيئـــا للمطـــيّ الشـــوازب
ولمـــا أنخنـــا واســـتقرت جنوبنـــا تسـابقت الجعـلان مـن كـل جانـب
يـدحرجن بعـر العـيس ذخـرا لعيشـة رضـين بـه قسـم الجزيـل المواهـب
يبادرنهـــا بالقســـم مـــا بـــين حـــازم وبـــين كســـول لم يفـــز في التناهـــب
يبادرنهـــا باليـــبس شـــتى عـــواجلا لتـدفن في قعـر مـن الأرض غائـب
وكـــــل دروب باختـــــزان نصـــــيبه على حـدة سبحان هـادي الـدوابب
عجبـت لهـا والعـين تلحـظ نهبـة فقلـت لصـحبي هكـذا كـل كاسـب
وقلـــت يقينـــا إنـــني غـــير آمـــل بعـيش لذيـذ دون قـرع الظنابـب
فـــلا خـــير في كســـلان يلـــزم بيتـــه يسـوّف دومـا في اقتنـاء المكاسـب
إذا جـــاء ســـفر غـــانمون رأيتَـــه يعـدّ مسـاعي كـل جـاب وجالـب
ألا يا رجـــال الحـــي إني ســـائل أجيبـوا بفهـم ثاقـب غـير ناضـب
مـتى فـاخرتْ في العـز والجـاه أمـة بـلا أثـر مِـالعلم والمـال راسـب
إذا المـرأ لم يكســب لســد حــوائج حـــوائج هدّتـــه عويـــل القرائـــب
وفـــات لـــه أجـــر التصـــدق جهـــرة وســـرّا كحـــج البيـــت أول راكـــب
وإن هـو لم يأخـذ مـن العلـم والتقـى بـوافر حـظ بآ بخسـر العواقـب
وعـاش حشـاش الـذل في وسـط أنفـه يقـاد بـه قـود الجمـال القـوارب
فخـذ يا فـتى مـن كـل علـم صـحيحه ولا تجمـدن عـن سـابق غـير واجـب
ولكـــن تفاعـــل مـــع زمانـــك نافـــذا بصـيرا بهـدي المصـطفى نجـل غالـب
بـــذلك فـــافخر لا بأكـــل ومشـــرب وترطيـــل أشـــعار وعقـــد الـــذوائب[1]

[1] مخطوط مكون من ورقة واحدة بالخط الإسحاقي بمكتبتي.

وغير هاتين من القصائد الكثيرة عندهم.

هذا في الأدب العربي وأما الأدب المحلي فهو أخصب عندهم من جل سكان الصحراء، وعندهم أفلام و مسلسلات ومسرحيات وروايات وقصص محلية خيالية، وحبذا لو تمكنا من ترجمتها إلى اللغات الأخرى ولكن أظن ذوقها لا يمكن ترجمته.

وأكبر غرض نظموا فيه الشعر هو الرثاء، ونظموا في المدح والغزل والشعر التعليمي وشعر الإخوانيات قصائد لا تعد ولا تحصى.

وسنعرض بعض النماذج من هذه القصائد:

**أولا في الرثاء:**

قال الشاعر (الصوفي الإسحاقي) في رثاء العلامة الشيخ (فاضل بن الحسن الأدكصهكي) المتوفى سنة:

يا عين بكّي على فقدان أشياخي ... وخاصة منهم من كان ربّاني

محمد فاضل نور الهدى علَم ... ومنتهى الحكم في علم وإتقان

من للدّيانة بعد فقد مُمسكها ... وما يلاقيها من ضعف وهجران؟

من للعبادة في برد الشتاء إذا ... جنّ الظلام ولا صالٍ بنيران؟

من للتلاميذ في درس وفي شبع ... وفي لباس وفي أمن وإسكان؟

من للمساجد؟ أو من للقضاء إذا ... ما قيل في مجلس هذان خصمان؟

من للأصول لدى إشكال مسألة ... وصرّت أقلامها في بحثها الثاني؟

من للمساكين هل يرجون ذا كرم ... من بعد ما دفنوه بعد إكفان؟

من للضيوف إذا ما قيل قد هبطت ... أيدي النجائب من تلقاء جيران؟

هو الحبيب الذي لولاه ما ذرفت ... مني ولا دمعت في الخدّ عينان!

هو التقي يقوم طول ليلته ... يبكي الدموع بكاء خوف منان!

هو الكريم الذي ترجى مواهبه ... عند الشدائد في أنحاء بلدان!

مأوى الغريب ومأوى اللاجئين به ... ومصلح الناس إذ ما ضلّ إثنان!

إنا شـــهدنا لـــه في كـــل مصـــلحة بأنـــه مخلـــص لكـــل إخـــوان!
الحـــق مطلبـــه والعـــدل شـــيمته والعفـــو عادتـــه عـــن ظـــالم جـــان!
مـولاي شـيخيَ يا ابـن الطهـر فاطمـة ويا ابـــن حيـــدرة ســـليل عـــدنان
وجهي وأنفي يقيك الترب يا لك من رزيّـــة بـــدّدت شملـــي وأركـــاني!
أبشـــر هنيئـــا عليـــك التـــاج مرتفعـــا في جنـــة الخلـــد في جـــوار رضـــوان
نبكـــي فلـــيس لنـــا إلا البكـــاء فمـــا بقـى لنـا اليـوم بـين النـاس مـن شـان!
صـــبرا **سُمَيّـــةَ** أو بكـــاء مـــن ثكلـــت والصـبر عنـد ادكـار الشـيخ أعيـاني!
لكـــن **سميـــة** إن الصـــبر يلزمنـــا والمـــوت في مرصـــد لكـــل ســـلطان
وكـــل نفـــس بعـــدل الله ذائقـــة طعـــم الممـــات بـــلا تمـــني إنســـان
يا أرحـــم الـــراحمين ارحـــم حبيـــبي في كـــل المواقـــف في فســـيح جنـــان
والهـم ذويـه إلهـي الصـبرَ يا لـك مـن رزيـــة مزّقـــت قلـــبي وأشـــجاني!
ثم الصـــلاة علـــى محمـــد وعلـــى أصـــحابه وهـــم أصـــحاب إحســـان[1]

وقال (إدريس بن القاسم الإسحاقي) في رثاء شيخه (فاضل بن الحسن) العلامة السابق الذكر:

بينـــا الزمـــان بســـلمه المـــأمول يسخو إذا بمحدّد مسلول
يصـــفو ويكـــدر لا يـــدوم لحالـــة متلوّن في ثوبه كالغول
إن ســرّ يومــا فهــو يُعقــب حســرة كرّا وفرّا مثل ليث الغيل
يا دهـــر مـــا لـــك لم تـــزل بجليـــل ترمي بنيك ولم تلن لخليل!
تتفتـــت الأكبـــاد مـــن جرائـــه والعين تبكي شجوَها بعويل
صـــبرا أخـــي فمـــا المنـــون بكـــاذب في صيده للعلق والمهبول
حِكـم بـه حكـم الإلـه علـى الـورى من فاضل أو خامل مفضول
مـــا إن يُعقّـــب حكمـــه في ملكـــه فاصبر جميلا تحظ بالمأمول
عشـــنا فراغـــا لم يســـدّ لفقـــده رغم الأولى طمعوا بلا تحصيل

[1] مقطع صوتي بالنظم الإسحاقي في جهازي.

لله در الشـــيخ في التعلـــيم والتـــأ ديب والتفريع والتأصيل!
نظـــر ســـديد واقتنـــاص شـــوارد في أمهات الكتْب بالتعليل!
ولـــه اليـــد الطـــولي إذا ســـئل الجـــوا ب بنسبة الموضوع للمحمول!
ولـه اليـد الطـولي إذا اختلـف الخصـو مُ لديه في المنقول والمعقول
وإذا تكلـــــم لا يراجـــــع هيبـــــة وسكوته ككلامه المعسول
وإذا تكلـــم في المســـائل باحثـــا أزرت فصول كلامه باللولي
بحـــر أُمـــدّ بأبحـــر مملـــوءة بالعلم والعمل الرضا المقبول
وعويصـــةٍ تأبى القيـــاد فرامهـــا فاستسلمت كاللائح المحلول
أو قاتـــه معمـــورة بصـــلاته موصولة بنَواله المأمول
والصـــفح والإعـــراض منـــه ســـجية والعفو والإغضاء عن مفضول
وتعهـــد الـــذكر الحكـــيم تفقهـــا وتبركا بتلاوة التنزيل
ولـــه أناة مهـــذّب ومـــأدّب وموفّق في فعله والقيل
شمـس أتـيح لـه الأفـول فأظلمـت عنا الدُّنا بظلامه المسدول
قـد كـان همـزة وصـلنا فتحوّلـت همزات قطع مفاصل المفصول
فتبـــدّدت آراءنا وتبلّـــدت أفهامنا عن واضح معقول
والعلـــم اصـــبح يـــدّعى وطلابـــه قد صار كالمهجور والمخذول
أوصـــالنا موصـــومة وصِـــلاتنا مفصومة لمصابنا الممطول
فـترى المسـائل عُكّفـا بـل نكّسـا إذ لا تطوع لقاصر مجهول
يا ســادتي يا معشــر الفضــلاء مــن طلابه وذويه خير قبيل
هـــذا لكـــم مـــني عـــزاء شـــامل أرجو به حقا شفاء غليل
الله يأجـــرنا ويجعـــل أهلـــه في الناس مثل جواهر الإكليل
الله يخلفنـــا بـــه مـــن ولـــده خلفا ينير معالم التحصيل
فيزيـــدنا ب**يزيـــد** علمـــا نافعـــا فهو القدير على نجاح السول
ويقيـــل عثرتنـــا ويـــنجح رافعـــا من شأننا المنانُ خير مقيل

صـــلى علـــى طـــه الرضـــى في آلـــه والصحب ربُ العرش خير مسول[1]

وقال الشاعر (الميمون الإسحاقي) في رثاء زميله العلامة (الشيخ سعد الدين بن البكّايْ الإسحاقي) المتوفي 2006م، رحمهما الله:

إن الـــرزايا علـــى قلـــبي لأَضـــعاف دمعي بأكبرهن اليوم وكّاف
كســـر الدعامـــة مـــن بيـــت طبيعتـــه إيواء شمل وتأليف وإنصاف
بيـت عهـدت بـه المسـكين يشـبع في أشهى الطعام وفي الشراب إسراف
كـــأس عزيـــز كعـــين الـــديك نازعـــه حلو ومرّ إذا ما ذاق رشّاف
كـــأس يطـــوف بـــه الغـــلام في أدب في مجلس قد تساوى فيه أكتاف
مـــن قبلـــه أطيـــب الملفـــوف مـــن كبـــد من كبشٍ احمر لم تمرضه أعلاف
يومـــا فيومـــا تـــراهم قُـــدّمت لهـــمُ أشهى الجِفان وقد علاها شِنْكاف
يومـــا بـــدار ويومـــا قـــد أظلّهـــمُ بخيمة مُدّدت بالحبل أطراف
وكـــل يـــوم لـــه أمـــر يقـــوم بـــه بين الوراء على الأضياف إشراف
ناهيـك مـا فيـه مـن حلـم ومـن كـرم كأنه في كلا الخيرين رجّاف
لا أنـــس لـــن أنـــس فيـــه أنـــه دائمـــا ببابه لِلقآ الزوار عرّاف
وإن بكينـــا عليـــك اليـــوم كـــم زمـــن يلهو بدارك زوار وأضياف
وأنـــه حفـــظ القـــرآن في صـــغر من سنه قبل أن أتاه إكلاف
وبعـــدُ فـــالعلم حـــتى صـــار مشـــتهرا ومنه يصدر راوي العلم مغراف
بعـــض يُعلّمهـــم بعـــض يُـــوكّلهم وكلهم أمّن من شرّ ما خافوا
مـــاذا أقـــول ولا أحصـــي مناقبـــه ودينه بجميع الناس إلطاف
وكـــل مـــا قـــد ذكـــرت مـــن مناقبـــه منا يخلّفه من قبلُ أسلاف
هُنّئـــتَ يا **سَـــعْدُ** عنـــد الله مغفـــرة نبكي عليك ويبكي عنك آلاف
يا **سـعد** إن كنـت في الفـردوس متكئـا وفيه من كل ما تحب أصناف
فالنـــاس بعـــدك في لهـــف وفي حَـــزَن وفي بكاء بباب الدار قد طافوا

[1] مخطوط مكون من ورقة واحدة بالخط الإسحاقي بمكتبتي.

إياك أن تأمــن الــدنيا وإن وعــدت ... لك البقاء سيأتي منها إخلاف
المــوت حــق وإن علــوت في كبِــد ... من الزمان ستعلو عنك أسياف
فــابكي **بثينــة** لا تبكــي علــى أحــد ... سواه إن البكآ عليك إنصاف
ســقى إلهــيَ قــبرا ضــمّ أعظمــه ... وما حواه وما حوته أكناف
هــذا وإني مكســور الجنــاح هنــا ... أبكي عليه وللدموع تذراف
لكــن علــي عهــودا أن أزور ولــو ... بيني وبينكم بُعْدٌ وأطياف
ثم الصــلاة علــى محمــد وعلــى ... أصحابه وهم في الناس أشراف[1]

وقال الشاعر الإسحاقي (سيْدحامْ بن أحمد) في رثاء (سعد الدين) السابق الذكر:

بكــى الســفا والســمآ تأسّــفا وأسًــى ... لــدى أفــول ســراج كــان وهّاجــا
فحينمــا الصــبر عيــل قلــتُ متعظــا ... لا يستطبّ إذا ما الموت قد فاجا
لــولا التحســب ضــاق الــذرع بالفطــن ... وطــاوع البــث منــه الــدمع ثجّاجــا
وأيــتم الــدين والأســفار غيبــة مــن ... في الحج ناداه داعي الموت لما جآ
رزيّــة تلــك قــد مسّــت حرارتهــا ... مــن كــان في الله داعيــا ونسّــاجا
بــه استضــاء بعيــد الــدار مقتبســا ... كأنــه البــدر إذ مــا الليــل قــد داجــا
ولــو تــرى الوفــد حــول البيــت هاجمــة ... مــلّ القــرى كــان آحــادا وأفواجــا
مِــن الجفــان لديــه فوقهــا الأدم ... بنــاره يهتــدي مــن ضــلّ منهاجــا
كــذا العفــاة الحفــاة عَمَّهــم كــرم ... أني يفضــل عمــن هــو قــد ناجــا
وقــد ألــنّ قلــوب الأســد مجتهــدا ... ألا يســود علينــا كــل مــن هاجــا
برأيــه نتماشــى الضــد عــن شــزر ... ويمتطــي المجــد ولّاجــا وخرّاجــا
جــزاه ربي عنــا خــير مــا عمــل ا ... وأخلــف المثــل ممــن كــان وهّاجــا
ثم الســلامان للهــادي وعترتــه ... مــدى تســابقت النجــوم أبراجــا[2]

[1] مخطوط مكون من ورقة واحدة بالخط الإسحاقي بمكتبتي.

[2] مخطوط مكون من ورقة واحدة بالخط الإسحاقي بمكتبتي.

**ثانيا في المدح:**

قال الشيخ (محمد الخير بن بجي الإسحاقي) في مدح قبيلة (إِبَجَنْ) من قبائل الإسحاقيين، لما زارهم فأكرموه غاية التكريم ورأى ما يتمتعون به من حفظ القرآن وخدمة الإسلام وخدمة كتاب الله:

هـــذي التحيـــة مـــن حـــب ومحـــترم ... إلى الأحبـــة مـــن قـــوم ذوي كـــرم
قـــوم شمـــائلهم تـــوقير ضـــيفهم ... في شـــدة ورخـــاء هـــم أولـــو همـــم
قـــوم مـــزاياهمُ قـــدما تُفضّـــلهم ... فـوق القبائـل مـن عـرب ومـن عجـم
قـــم مريـــدهم يُكفـــي مؤونتـــه ... مـــن لـــفّ لِقّهـــم يحظـــى ولا يحـــرم
قـــوم كـــرام إذا مـــا جئـــت ســـاحتهم ... أعطـــوك عفـــوا بـــلا مـــنّ ولا نـــدم
قـــد رام زعمـــا بنـــو إســـحاق شـــوطهم ... فلـــم ينـــالوا ولم يألـــوا فـــلا تلـــم
أنّى لهـــم؟ ذاك تعظـــيم الشـــيوخ وتـــر ... تيـــل لقـــرآن ربهـــم بـــلا ســـئم
حيـــاكم الله ثم حيـــاكم وبـــوّأكم ... أعلـــى الجنـــان بنـــاة المجـــد والكـــرم
**محمـــد أحمـــد** و**هـــارون** الرشـــيد كـــذا ... **المـــومن إغْلَـــسْ** و**أتَّ** أكـــرم الأمـــم
إبْـــلا و**مـــومُن** و**عبـــد الله** قـــدوتهم ... **إسماعيـــل، أنْقِـــدْ** و**مَنْتَـــكْ** زروة العلـــم
**كُـــدَيْ محمـــد، محمـــد يحـــي** ســـيدهم ... **فَتَّـــا** و**حَـــبَّيْ** و**أحمـــد** مرحبـــا بهـــم
**تَسّـــا** و**أَزَّا** و**يَنْـــغَ، بِنْـــتَكَسْ** وكـــذا ... **أخْمُـــودَنْ، كُـــوتَيْ** و**حَـــمَّ** مـــوفي الـــذمم
**محمـــد ظَنْـــوَا** وَ**زيْـــنُ العابـــدين** كـــذا ... **دِكَّـــا، أُبَيٌّ** و**صـــالح** راعـــي الحـــرم
ثم **الحســـن، أَتَّ، كُـــتُّ** هكـــذا و**كَلَـــيْ** ... مـــع **المنـــيرْ** و**العتيـــق** بالمأكـــل الـــنهم
كـــذاك **أشّـــا، مُحَمَّـــا، عبـــد الله** فـــاذكرهم ... **وتُـــو، تَلَبْلَبْـــتْ** مـــع **المحمـــود** فاتسـم
ثم **المنـــيرْ، الحســـن، محمـــد** ثم **حُـــدِتْ** ... بعـــد الصـــديق الـــوفي **العـــارف** الفهـــم
كـــذاك **أبْلِـــلْ، تَغَـــالِفْ، أحمـــد** صـــالحهم ... وقـــاهم الله شـــر البخـــل والـــيهم
**محمـــد أوْكَـــا** و**إغْلَـــسْ** و**الفـــتى، سِـــدَحَمْ** ... **عبـــد الفتـــاح** وكـــذا **المحمـــود** فـــادرهم
**عبد السلام، دِتَّ، ماحٍ، عبدو، حَمَّ** كذا ... **إبراهيم، أخْلُكْ، حَدِكْنَنْ** أشجع البهم
كـــذاك **يوســـف، محمـــد، عـــالِ، حُـــولُم** ... فتيـــان صـــدق لـــدى الإيـــواء فـــالتعلم

ثم **البشـــير** و**مُنَـــا** اذكـــر هكـــذا **بُحُـــدو** **مَحْمـــودَنْ** آت **محمـــد** صـــاحب العلَـــم
**بَـــلَّا** و**مـــومن** و**عبـــد الواحـــد** ثم **مُنـــا** وعـــدتي **حمّـــدا** الفيـــاض كالـــديم
كـــذلك **الْمَكّـــى** و**الميمـــون** مـــع **حِمّـــدٍ** **إسماعيـــل، حَـــبّ** و**بُـــوَبْز** لـــين الشـــيم
مـــن لم أســـم كمـــن سميـــت يا لهـــم مـــن معشـــر غمـــروا الأقـــوام بالـــنعم
يا رب ألّـــف وأصـــلح ذات بيـــنهم وانـــف العـــدا عـــنهم نفيـــا إلى الحـــرم
يا بارك الله في أهـــــل وفي ولـــــد وفي المواشـــي وفي زرع وفي خـــدم
وفي التجـــارة والأمـــوال قاطبـــة وفي المكاســـب بارك بارأ النســـم
ثم الصـــلاة علـــى المـــاحي بملتـــه محمـــد خـــير مـــن يمشـــي علـــى قـــدم
وآلـــــه الغـــــر والأزواج كلهـــــم والصحب مـا مُـدح الممـدوح بالكـرم[1]

وقال الشاعر (إدريس بن القاسم الإسحاقي) في مدح شيخه، زميله (الشيخ محمد الخير بن بجي الإسحاقي) السابق ذكره، بمناسبة ما أرسل محمد الخير رسالة بليغة مصحوبة بنسخة من كتاب (جمل ابن هشام) نسخها بخط جيد إلى شيخه (البكاي)، فطلب من إدريس شيخه (البكّاي) أن يجازيه فقال:

أهاجك لا ذكرى الظباء العواطل ولا رقم آثار الديار المواثل
ولا سجعات الورق في غصن بانة وذو الشوق معذور فهل رقّ عاذلي؟
ولكن أتت برقية عبقرية تميس بحسن شامل متكامل
وألقت هدايا من تحايا ونسّقت سلاما سليما من حبيب مواصل
فتى لم يزل يبري اليراع مجددا دوارس عهد من تراث الأوائل
وما زال يرتاض الفرائد ناظما جواهر لولٍ لم تكن بالهوازل
لك العز كل العز يا خير واصل حباء إخاء في مرور الأصائل
لئن بخل الدهر الخؤون بوصلنا فأقلامكم تقضي على كل باخل
شفيت كلوم شوقنا وغرامنا بخط أنيق باهر متماثل
فبوركت من حبر خبير مطالع بصير بتوجيه الكلام مناضل

[1] مخطوط مكون من ورقة واحدة بالخط الإسحاقي بمكتبتي.

وأبقاك رب العرش للدين سلّما على رغم أنف الحاسد المتماحل
وجازاك غفرانا وأمنا ورحمة وبوأك الرحمن رحب المنازل
ليهنك يا كنز الفضائل إننا بودك نعصي كل أوغد ماحل
إليك هدايا من تحايا أنيقة تعبر عن تقديرنا للأماثل[1]

ولعل ما ذكرته من هذه القصائد الغراء تكفي في مثل هذا المجال الضيق.

[1] مخطوط مكون من ورقة واحدة بالخط الإسحاقي بمكتبتي.

***المصادر والمراجع:**


1- أزواد صحراء تينيري/ الدكتور محمد سعيد القشاط، ط 1، مؤسسة ذي قار.

2- الإمتاع والإبهاج في التعريف بالعلامة المحدث محمد الحاج/ ابنه وتلميذه أحمد محمد بن محمد الحاج الحسني، مخطوط بمكتبة الطالب.

3- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، المقريزي.

4- الثقافة الإسلامية عند الطوارق في مالي والنيجر/ أحمد خميس نوح، بحث تخرج 2004.

5- الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين/ للشيخ العتيق بن الشيخ سعد الدين السوقي ت 2017، مخطوط بمكتبة الطالب.

6- الروضة الإسحاقية/ للشيخ محمد طه بن الشيخ سعد الدين الإسحاقي، مخطوط بمكتبة الطالب.

7- زبدة الوفاق في تعريف إدو اسحاق/ محمد سعيد بن محمد الإسحاقي، مخطوط بمكتبة الطالب.

8- الشيخ محمد فاضل بن الحسن الإسحاقي (حياته وآثاره العلمية) بحث تخرج 2014-2015 للطالب: عبد الله يزيد فاضل الإسحاقي.

9- الطوارق عرب الصحراء الكبرى/ د.محمدسعيد القشاط،، ط2، مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء.

10- مخطوط بدون عنوان فيه تفاصيل إمارة إهنقتن من أولها إلى آخرها، وهو مكوّن من 10 صفحات بخط إدكصهك.

11- مخطوطات متنوعة في مكتبة الطالب.

12- المدارس الأدبية في صحراء الطوارق/ محمد بن أحمد الإدريسي السوقي، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن –عمان، ط 1، 2010.

13- مدينة أغديس وأهلها الطوارق عرب الصحراء، وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم مع تاريخ أغديس وأسدى ومدن الصحراء القديمة كجاد وغيرها من المدن/ للكاتب الشيخ والإمام لمسجد الفاتح في مدينة أغديس: محمد بن أبي بكر السوقي أو الدسوقي اللقب الصحيح، مخطوط بمكتبة الطالب.

14- معجم قبائل العرب/ الدكتور عمر كحالة.

15- مقابلة مع (حميدي أشختمن أغ أحمد أحمد الملقب بأَكْرَيْهَا) بنيامي بتاريخ 28-10-2017.

16- مقابلة مع الشيخ (إبْلا أغ حَدَبَّ الأبجي) قرب (تَغَضَيَّتْ) بتاريخ 04-06-2017.

17- مقابلة مع مديتْ بنيامي بتاريخ 02-06-2017.

18- مقطع صوتي أرسله حدمحمد أغ غيدي عبر واتساب هذه السنة.

19- نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/ القلقشندي.

20- وضعية شمال مالي (جذور الماضي-دوافع الحاضر-آمال المستقبل) بحث تخرج 2013-2014 للطالب سيدمحمد المختار الإسحاقي.